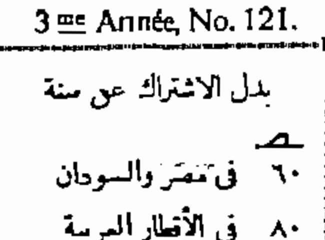
3 me Année, No. 121.


بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi-28-10-1935

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ رجب سنة ١٣٥٤ — ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

خيبة المدنيـــة

وا أسفاه ! ! أبعْدَ هذه الحِقَب الملايين التى أتت على سليل الطين فسوّت من خَلْقه ، وراضت من خُلُقه ، وصقلت من ذهنه ، وصفّت من جوهره ، وجعلته على ملكوت الأرض يديره على حكمه ، ويجريه على نظامه — لا يزال كأوابد القفر وضوارى الغاب يسطو القوى على القوى بالختل ، ويعدو القوى على الضعيف بالقتل ، وتضطرب الشهوات والمآرب بين الحيلة والغيلة اضطراب الأثرة بين العجز والقدرة ؟ !

أبعد الرسالات المتعاقبة التى بلّغها رُسُل الله فغمرت العالم بالضياء ، ووصلت الأرض بالسماء ، ونهجت للنقص البشرى سبيل الكمال المطلق — لا يبرح الانسان باسطاً عنانه فى الجهل ، يرتكس فى عماية الهوى ، ويرتطم فى حمأة المادة ، ويجعل من الدين غشاء لِنابه ، ومن الأخلاق طلاء لظُفره !

أبعد انتشار العلوم التى هتكت أستار الكون ، وكشفت أسرار الطبيعة ، وسبرت أغوار الحياة ، وذللت ريّض القوة —

يظل ابن آدم على حيرة من يومه ، وفى غمة من غده ؟ لا يثق وثوق العالم بالحاضر ، ولا يطمئن اطمئنان المؤمن بالمستقبل ؟

أبعد ازدهار الآداب التى خلقت للناس أجنحة من الشعر ، وكشفت للعالم أجواء من الخيال ، وأبهجت مشاعر النفس بسحر المجهول ، ودبّجت حواشى العيش بألوان الربيع ، ووجهت مطامح العيون إلى رفيع المُثل — يظل الانسان مُسِفّاً إلى حقير الأمل ، مدفوعاً إلى دنىء الغرض ، محصوراً فى حدود المنفعة ؟ !

أبعـد هذه المدنية المغرورة التى تزعم أنها حررت الفكر ، وأبطلت الرق ، وضمنت حقوق الانسان ، ووحدت المقاييس بين الألوان ، وحصرت أهواء الدول العاتيـة فى قصر من قصور (جنيف) لتأمن خصامها بالتوفيـق ، وتضمن سلامها بالتعاهد ، وتجعل من جماعتها إلْباً على الطغيان ، وحرباً على العدوان ، ويداً على الأثم — يظل الانسان على عادِ الجاهلية : يتكاثر بالعديد ، ويتعزّز بالسلاح ، ويرصد الغفلة للغزو ، ويفترى الحجة للغصب ، ويغذى قوّته على ضعف غيره ؟ !

* * *

من كان يظن بعـد هذا الدهر المتطاول والعمران المستبحر والتقدم العجيب ، أن يظل الناس على ضراوة الفطرة لا يتغير فيهم غير النشاء ، ولا يتبدل غير الأسماء ، فتصبح البربرية بالعلم مدنية ، والاغتصاب بالمدنية انتداباً ، والاسترقاق بالقانون وصاية !

من كان يظن أن بحر الروم الذى كان بالأمس مسبحاً لغارة القرصان ، ومسرحاً لبغى الرومان ، لا يزال اليوم مجالا لمثل ذلك ؛ فالأساطيل على وجهه ، وفى جوفه ، وفى جوه ، تضطرم بالحديد والنار لا استجابةً لصريخ الحق ، ولا إطاعة لأمر القانون ، ولـكن لأن طاغية من طغاة المدنية المغشوشة ، حشر جنوده فى البر والبحر والهواء ليقتل أمة عزلاء قبـل أن يتفق مع منافسيه على اقتراف الجريمة واقتسام الغنيمة ؟ !

من كان يظن أن هـذا (الفاشىّ) المفتون يقف بمرأى من (الفاتيكان) ، وعلى مسمع من (جنيف) ، فيلغى قانون (العصبة) ، وينقض ميثاق (كيلوج) ، ويتحدى جميع الدول ، لأنه نفخ (زقاقه السود) بالهواء الحار ، وحوّل الحذاء الايطالى كله مصانع للذخائر والآلات ، ومعامل للسموم والغازات ، ثم تكبر واختال ، وتخيل ثم خال ، وفـكر فيمن يحرقه بهذا الرصاص ، ويمزقه بهذا الديناميت ، ويخنقه بهذا الغاز ، ويسحقه بهذا الحديد ، فلم يجد كفاء لتالد روما وطريف الفاشيست غير الحبشة المتواضعة المسكينة ! ! ولـكن بأى حجة يبلع (الدوتشى) جبال الحبشة ورجال عَدْوَى ؟ بالحجة الأوربية المفحمة : تمدين الشعوب الهمَج . والأحباش ولا ريب همجٌ لأنهم لا يأكلون (الاسباجتىّ) ، ولا يشربون (الكيانتى) ، ولا يسترقّون إلا الأفراد فلم يرتقوا بعدُ إلى استرقاق الأمم ! !

* * *

أما بعـد ، فلو كانت أمور النـاس تجرى على سَنَن المنطق لكانت الحبشة أولى بتمدين إيطاليا ؛ قضى خمسون دولة بالاجماع على الطليان بالعار والخزى ، فقاطعوهم مقاطعة المجذوم ، وطاردوهم مطاردة الآثم ؛ ووقف الأحباش من المغير موقف الكرامة والنبل ، يقابلون العداوة بالسـلم ، ويدافعون السفاهة بالحلم ، حتى ظفروا بإعجاب العالم ورُشح النجاشى لجائزة نوبل !! فلما أغار (المتمدنون) من غير إعلان ، وقاتلوا من غير ضمير ، واستعملوا أسلحة بغير حق ، دافع (الهمجيون) دفاع المستبسل الحر ، وجاهدوا جهاد المستشهد الصابر ، وغالبوا باطل المتمـدين بقوة الحق وعطف الشعوب ومزايا الرجولة ، وكان موقف النجاشى الأسـود من الزعيم الفاشى الأبيض موقف رب الدار من اللص ، وصاحب القانون من المجرم !

* * *

رويدك يا أسْودَ الشعار وممثل دور الجبار ومنذر العالم بيوم القيامة ! إن أرواح الشباب الذين قذفتهم ظلماً فى جحيم الحبشة ، لتخرق أذنيك من خلال اللهيب بهذا الهُتاف الرهيب :

على رِسْلك يا نيرون ! إنك تحرق روما مرة ثانية ! !

احمد حسن الزيات

بعد شـــــوقى (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

كان يتوجَّهُ الظن على شوقى رحمه الله فيزعمُ الزاعمُ أن شوقى هو يحيى شعرَه ، وهو يرفع منه ، وهو يُشيعُ حوله قوةَ الجذب من مناطيس الثروة والمكانة ؛ وأن الرجل ما أوفى على الشعراء جيماً لأنه أفضلهم ، بل لأنه أغناهم ، ولا من أنه أقوامهم قوةً ، بل لأنه أقوامهم حيلة ؛ وأن الشاعر لو جاء يومه لبطل السحرُ والساحر ، فترجعُ العصا وهى عصاً بعد أن انقلبت حية ، ويؤول هذا الشعرُ إلى حقيقته ، وتتسم الحقيقة بسمتها ؛ كأن شوقى كان يعملُ لشعره بقوة السموات والأرض لا بقوة رجل من الناس

فقد ذهب الرجلُ إلى ربه ، وخلا مكانُه ، وبطلت كلُّ وسائله ، ونام عن شعره نومةَ الأبدية ، وتركه لما فيه يحفظه أو يضيعه إن كان فيه حق من الشعر أو باطل ، وأصبح الشاعرُ هو وماله وجاهُه وشعرُه فى حكم الكلمة التى يقولها الزمن ، ولم تعدهنه الكلمةُ فى حكمه ؛ فهل أثبتَه الزمن أو نفاه ، وهل سلم له أو كابره ، وهل ردَّه فى أغمار الشعراء أو جعل الشعراءَ بعده أدلةً من أدلته ؟

* * *

أولُ ما ظهر لى أن الزمن بعد شوقى أصبح أقوى فى الدلالة عليه وأصدقَ فى الشهادة له ، كما تكون الظلمة بعد غياب القمر شرحاً طويلاً لمعنى ذلك الضياء ، وإن سطعت فيها الكواكبُ وتوقّد منها شىء وتلألأ شىء . فقد دلَّ الزمنُ على أن ذلك الشأن لم يكن لشاعرٍ كالشعراء ، يقال فى وصفه إنه مفتنٌّ مجيدٌ مبدع ؛ ولكنه للذى يقال فيه إنه صوتُ بلاده وصيحةُ قومه

كانت تحدُثُ الحادثةُ ، أو يتخالجُ الناسَ معنىً من الهمِّ الذى يمسُّهم ، أو يستطيرهم فرحٌ من أفراح الوطن ، أو يزولُ عظيم من العظماء فيزيد صفحةً فى التاريخ ، أو ينشأُ كونٌ صغير من أكوان الحضارة فى الشرق كبنك مصر ، أو ترتجُّ زلزلة فى الحياة العربية أينما ارتجت ، فاذا كلُّ ذلك قد وقع فى الدنيا بهيئتين إحداهما فى ذهن شوقى ، فيرسلُ قصيدتَه الشرودَ السائرةَ داويةً مجلجلة ، فلا تكاد تظهر فى مصر حتى تلتقى حولها الأفكارُ فى العالم العربى كله ، فتكون شعرا من أسرى الشعر وأحسنه ، ثم تجاوزُه فاذا هى صلةٌ من أقوى الصّلات الذهنية بين أدباء العربية وأوثقها ، ثم تجاوزها فاذا هى عاطفةٌ تجمع القلوبَ على معناها ، ثم تسمو فوق هذا كله فاذا هى من هـذا كله زعامةُ مصر على الشعر العربى

واليوم يقع مثلُ ذلك فتتطاير بعض الفقاقيع الشعرية من هنا وثمَّ ملونة منتفخةً ماضية على قانون الفقاقيع فى الطبيعة من أن لحظةَ وجودها هى لحظةُ فنائها ، وأن ظهورها يكون لتظهر فقط لا لتنفع

ولست أمارى فى أن بيننا شعراءَ قليلين يجيدون الشعر ولهم فكرٌ وبيان ومذهبٌ وطريقة ، ولكن ما منهم أحد إلا وهو يشعر من ذات نفسه أن الحوادث لم تختره كما اختارت شوقى ، وأنه فى الحياة كالواقف على باب ديوان ينتظر أن يمهد إليه وأن يخرج له التقليد فهو ينتظر وسينتظر

وهذا عجيبٌ حتى كأنه يسحرٌ من سحر الزمن حين تفصل الدنيا بين العبقرىِّ الفَذّ وبين من يشبهونه أو ينافسونه — بضروب خفيةٍ من الصَّرْفَةِ والموانعِ لا هى كلها من قوة العبقرىِّ ولا هى كلها من عجز الآخرين

وأعجبُ من ذا أن (شوقى) كان فى العالم العربى كأنه عملٌ تاريخىٌّ متميزٌ من أعمال مصر ، غير أنه مسمىً باسم رجل ؛ وكان على الحقيقة لا على المجاز — كأن فيه شيئاً من هذه الروح التاريخية المتغلّبة التى تخلّدُ بأسماء الآثار الفنية وتكسبها المظَمة فى الوجودَين ، من محلها ومن نفس الانسان

وأعجبُ من هذا وذلك أنى لم أر شعراً عربياً يحسُنُ فى وصف الآثار المصرية ما يحسُن فى وصفها شعرُ شوقى ، حتى لأسأل نفسى : هل تختار بعضُ الأشياء العظيمة وصفَها ومفسر

(١) لما توفى شوقى كتبنا لشيخ مجلاتنا (المقتطف) فصلا طويلا عنه وعن شعره ومنزلة شعره فلم نعرض لشىء من ذلك هنا

عظمتها ، كما تختار المرأةُ الجميلةُ عاشقها ومُستَجلى حسنها ؟

* * *

وما بانَ شوقى على غيره إلا بأنه رجل أفرغَ فى رأسه الذهنُ الشعريُّ الكبير ، فكان فى رأسه مَصنَعٌ عمّاله الأعصاب ، ومادته المعانى ، ومهندسُه الالهام ؛ والدنيا تُرسل اليه وتأخذ منه ؛ وعلامةُ ذلك من كل شاعر عظيم أن تضعَ دنياه على اسمه شهادتها له . ولهذا ما يكون بعضُ الشعراء كأن اسمهُ فى وزن اسم مملكة . فاذا قلتَ شكسبير وانجلترا ، فهما فى العظمة النفسية من وزن واحد ، وكذلك المتنبى والعالم العربى ، وكذلك شوقى ومصر

قالوا كان الفرزدق ينقح الشعر ، وكان جرير يَخْشُبُ (أى يُرسل شعره كما يجىء فلا يتنوّقُ فيه ولا ينقحه) ؛ وكان خَشْبُ جرير خيرًا من تنقيح الفرزدق . ولم يتنبّه أحد إلى السر فى ذلك ؛ وما هو إلا السر الذى كان فى شوقى بعينه ، سرُّ الامتلاء الروحىّ قد أُمدَّ بالطبع ، وأُعين بالذوق ، وأُوتى القوةَ على أن يتحول بآثاره فى الكلام ؛ فكل ما كان منه فهو منه ، يجىء دائمًا قريبًا بعضُه من بعضه ، ولا يكاد ينفذ إلى شعور إلا اتحد به

وقد كان عمرُ بن ذَرّ الواعظُ البليغ (١) إذا تكلم فى مجلسه نشر حوله جوًا من روحه فيجعل كلَّ ما حوله يتموّج بأمواج نفسية ؛ فكان كلامه يعصف بالناس عصفَ الهواء بالبحر يقومُ به ويقعد ، وكان من الوعاظ من يقلده ويحكيه ولا يدرى أنه بذلك يعرض الغلطةَ على ردّها وصوابها ، فقال بعضُ من جالسه وجالسهم : ما سمعتُ عمر بن ذرّ يتكلم إلا ذكرتُ النفخَ فى الصُّور ، وما سمعت أحدًا يحكيه إلا تمنيتُ أن يجلد ثمانين ...

فالفرق روحانى طبيعىّ كما ترى ، لا عمل فيه لأحد ولا لصاحبه وهو يشبه الفرق بين عاصفة من الهواء وبين نسيم من الريح يرسلان على جهتين فى البحر . ففى ناحية يلتجُّ الماء ويثب ويتضرّب ويقصف قصفَ الرعد ، وفى الأخرى يترجرج ويترحف ويقشعرُّ ويهمس كوسواس الحلى

(١) هو عمر بن ذر الهمذانى الكوفى المتوفى سنة ١٥٦ للهجرة وكان من أبلغ المتكلمين

والشأن كل الشأن للكميّة الوجدانية فى النفس الشاعرة أو الممتازة ؛ فهى التى تعيّن لهذه النفس عملَها على وجهٍ ما ، وتهيئها لما يراد منها بقدرٍ ما ، وتقيمها على دأبها إلى زمن ما ، وتختصها بخصائصها لغرضٍ ما . وإذا أنت حققتَ لم تجد الفروقَ بين النوابغ بعضهم من بعض ، إلا فروقًا فى هذه الكمية ذاتها مقدارًا من مقدار . ولولا ذلك لكان أصغر العلماء أعظمَ من أكبر الشعراء ، فقد يكون الشاعر العظيم كأنه تلميذ فى العلم ثم يكون العلمُ كأنه تلميذ لقلب هذا الشاعر وعواطفه . ولئن عجز النقدُ العلمىُّ أن ينال من الشاعر العبقرىّ لقديمًا عجز فى كل أمة

وقد كان فيمن حاولوا إسقاط شوقى من هو أوسع منه اطلاعًا على آداب الأمم ، وأبصرُ بأغراض الشعر وحقيقته ، وكان مع ذلك حاسدًا شانئًا قد تَقبّبَ فى قلبه الحقد ؛ والحاسدُ المبغضُ هو فى اتساع الكلام وطُغيان العبارة أخو المحب العاشق ، فكلاهما يدور الدمُ فى كبده معانىَ ووساوس ، وكلاهما يجرى كلامه على أصلٍ مما فى سريرته فلا تجد أحدهما إلا عاليًا عاليا عن يحب ، ولا تجد الآخر إلا نازلاً نازلا بمن يبغض . وكان هذا الناقد شاعرًا فانضاف شعره إلى حسده ، إلى بغضه ، إلى ذكائه ، إلى اطلاعه ، إلى جهده ، إلى طول الوقت وتراخى الزمن ؛ وهذه كلها مفرقعات نفسية .... بعضها أشدُّ من بعض كالبارود ، إلى الديناميت ، إلى الميلينيت ؛ ولكن شوقى كان فى مرتقى لم يبلغه الناقد فانقلب جهدُ هذا عجزًا وأصبح البارود والتراب فى يده بمعنى واحد ....

* * *

ومن أعجب ما عجبت له من أمر هذا الناقد ، أنى رأيته يقرر للناس صوابَ الحقيقة بزعمه ، فاذا هو يقرر غلطَه وجهله وتسفهه . وهو فى كل ما يكتب عن شوقى يكون كالذى يرى الماءَ العذبَ وعملَه فى إنبات الروض وتَوْشِيَتِه وتلوينه ، فيذهب يعيبُه للناس بأنه ليس هو البنزين .... الذى يحرك السيارات والطيارات

تناول شوقى بعد موته لجرده من الشخصية أى من حاسة الشعر ومن إدراك السر الذى لا يُخلَقُ الشاعرُ الحقُّ إلا لادراكه والكشف عن حقائقه ؛ وكان فيما استدل به على ذلك

أن شوقي لا يحسن وصف الربيع بمثل ما وصفه ابن الرومي في قوله:

تجدُ الوحوشُ به كفايتَها والطيرُ فيه عتيدةُ الطُّعَمِ
فظباؤه تُضحي مُنَتَّطِحة وحمامه يضحى بمختصمِ

وزعم أن ابن الرومي قد ولد بحاسة لم يولد بها شوقي ، ولهذه الحاسة انمحى في الطبيعة فأدرك سر الربيع وأنه غليانُ الحياة في الأحياء ، فالظباءُ تنتطح من الأشر الخ الخ وبني على ذلك ناطحة سحاب . . . . لا ناطحة ظباء[1]

أما شوقي الشاعر الضعيف العاجز الذي لم يولد بمثل تلك الحاسة فلو أنه شهد ألفَ ربيع لما أحسَّ هذا الاحساس ولا استطاع أن يجيء بمثل هذا القول المعجز . وكل ذلك من هذا الناقد جهلٌ في جهل في جهل ، وأعاليل بأضاليل بأباطيل ؛ فإنَّ الرومي في هذا المعنى لصٌّ لا أكثر ولا أقل ، فلم يحسَّ شيئاً ولا ابتدع ولا اخترع

قال الجاحظ : يقال في الخصب (أي الربيع) نفشَت العنز لأختها ؛ وخلَّفتُ أرضاً تظَالَمُ معزاها (أي تتظالم) . قال لأنها تنفش شعرها وتُنصِبُ رُوقَيْها في أحد شِقَّيها فتنطح أختها وإنما ذلك من الأشر . (أي حين سمنت وأخصبت وأعجبتها نفسُها)

فأنت ترى أن ابن الرومي لم يصنع شيئاً إلا أنه سرق المعنى واللفظ جميعاً ، ثم جاء للقافية بهذه الزيادة السخيفة التي قاس فيها الحمام على الظباء والمعزى . . . . فاستكره الحمام على أن يختصم في زمن بعينه وهو يختصم في كل يوم . وإنما شرط الزيادة في السرقة الشعرية أن تضاف إلى المعنى فتجعله كالمنفرد بنفسه أو كالمخترع

ولعمري لو كان للطبيعة مائة صورة في الخيال الشعري ، ثم قدّم شوقي للناس تسعاً وتسعين منها ، لقال ذلك الناقد المتعنت : لا . إلا الصورة التي لم يقدّمها . . . .

* * *

وكان شعر شوقي في جزالته وسلاسته كأنما يحمل العصا لبعض الشعراء ، يردُّهم بها عن السفسفة والتخليط والاضطراب في اللفظ والتركيب ؛ فكثر الاختلالُ في الناشئين من بعده وجاءوا بالكلام المخلَّط الذي تبعث عليه رخاوة الطبع وضعف السليقة ، فتراه مكشوفاً سهلاً ولكن سهولته أقبحُ في الذوق من جَفْوة الأعراب على كلامهم الوحشيِّ المتروك

والآفة أن أصحابَ هذا المذهب يفرضون منهجَهم فرضاً على الشعر العربي كأنهم يقولون للناس : دعوا اللغة وخذونا نحن . وليس في أذهانهم إلا ما اختلط عليهم من تقليد الأدب الأوربي فكل منهم عابد الحياة ، مندمج في وحدة الكون ، يأخذ الطبيعة من يد الله ، ويجارى اللانهاية ، ويَفْنَى في اللذة ، ويعانق الفضاء ، ويغنّي على قيثارته للنجوم ؛ وبالاختصار فكل منهم مجنون لَيْلَى . . . .

وأنا فلست أرى أكثر هذا الشعر إلا كالجِيَف ، غير أنهم يقولون إن الجيفة لا تعدُّ كذلك في الوجود الأعظم ، بل هي فيه عمل تحليليٌّ عليٌّ دقيق . لقد صدقوا ؛ ولكن هل يكذب من يقول : إن الجيفة هي فسادٌ ونتن وقَذَر في اعتبار وجودنا الشخصي ، ووجود النظر والشم ، والانقباض والانبساط ، وسلامة الذوق وفساد الذوق !

* * *

وكان حاسدو شوقي يحسبون أنه إذا أزيح من طريقهم ظهر تقدُّمهم ؛ فلما أزيح من الطريق ظهر تأخرهم .... وهذه وحدها من عجائبه رحمه الله

وقد كان هذا الشاعر العظيم هبةَ ثلاثة ملوك للشعب ، فهيهات ينبغ مثله إلا إذا عمل الشعب في خدمة الشعر والأدب عمل ثلاثة ملوك . . . . وهيهات

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

إلى (حائر) سنجه بالسودان . كان « الفنان الحائر » غير من ظننت ؛ وحيرته من الفن لا من الزندقة يا حضرة مؤلف المقالة الابليسية . . . وقد اذكرني كتابك رسائلك الأول فافتقدتها فإذا هي بين عشرين رسالة وردت من مختلف الأقطار أيام مرضي بإسكندرية وكنت جعلتها إضبارة (رزم) لأذكرها فنسيتها . فمعذرة إليك وإليهم والبهن ، وأنا كثيراً ما أعتمد على كرم الكاتب أو الكاتبة في العفو عن تقصيري . أما رسالتك التي أسميها المقالة الابليسية فسأكتب عنها في يوم كما يشاء الله قريب أو بعيد .

الرافعي

(١) لا يحضرني كلام الكاتب بنصه ولكن هذا يمس معناه وكله تهويل

السنيون والشـيعة

للأستاذ أحمد أمين

بهذا العنوان كتب الأستاذ « محمد رضا المظفر » من أفاضل علماء النجف مقالاً قيماً فى (عدد الرسالة ١١٨ السنة الثالثة) ؛ وقد استهلها الأستاذ بالعجب من أن أكون كاتب « فجر الاسلام وضحاه » ، وكاتب « مقدمة تاريخ القرآن » للأستاذ الزنجانى معاً وأن « النغمة التى ظهرت منى فى هـذه المقدمة نغمة متواضعة على وتر من إحساس جـديد » وأنها على عكس ما ظهر منى فى فجر الاسلام وضحاه ، وفسر ذلك بأن لى « شخصيتين تباعدتا على قرب العهد بينهما »

والحق — يا أخى — أن النغمتين صدرتا عن نفس واحدة كانت تـكره الخلاف بين السنيين والشيعة أشد الـكره ، وأعمقه يوم كتبَتْ فجر الاسلام وضحاه كما كانت تـكرهه يوم كتبَتْ مقدمة تاريخ القرآن ، وكما لا تزال تـكرهه إلى اليوم

وكل مظاهر الخلاف بين القولين سببه أنى بحثت فى فجر الاسلام وضحاه مذهب الشيعة كما يبحثه كل عالم ، وحاولت جهدى أن أضع التعصب جانباً ، وأن أتناسى أنى سنى أكتب عن الشيعة ، وأملأ نفسى عقيدة أنى مؤرخ يتطلب الحق حيث هو — ومن أجل ذلك نقدت السنيين كما نقدتُ الشيعة ، وقلت ما اعتقدته الحق فى هؤلاء وهؤلاء ، ووضعت الفرقتين فى كفتى ميزان ؛ فاذا قلت إن بعض الشيعة وضعوا بعض الأحاديث قلت إن بعض السنيين وضعوا بعض الحديث أيضاً ، لأنى اعتقدت الحق فى ذلك ؛ وهكذا سرت على هـذا المنهج دائماً وأنصفت المعتزلة فى بعض آرائهم ، والخوارج فى بعض آرائهم ، والشيعة فى بعض آرائهم . مع أن العادة جرت أن السنيين لا يرضون عن شىء من ذلك ، فأسلوبى فى الحالين طلب الحق حيث كان ، وإذا كان ديننا يتطلب منا أن نزن الحق فى ذاته من غير أى اعتبار آخر سواء كان مصدره مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً ، فبالأحرى نزنه إن كان مصـدره معتزلياً أو خارجياً أو شيعياً ؛ وكل ما فى الأمر أن بعض إخوانى من الشيعة أخطأوا من ناحيتين : الأولى أنهم دائماً طبقوا ما أقوله عن الشيعة على أنفسهم ، وفهموا أنى لا أعنى بالشيعة فى كل موضع إلا إياهم ، مع أن الشيعة كما يعلمون فرق مختلفة لا حصر لها ، وأن منها الغالى الممعن فى غلوه ، ومنها المعتدل القريب من الأنصاف ، وليست الأمامية التى يدين بها أهل العراق وفارس إلا فرقة واحدة من فرق عديدة ، بعضها باق إلى اليوم ، وبعضها عفى عليه التاريخ ؛ فخطأ محض أن يظنوا أنى كلما قلت « الشيعة » عنيتهم ؛ إنما يكون لهم الحق كل الحق أن يفهموا أنى أقصدهم عندما أتكلم على الأمامية أو الاثنى عشرية — والمؤرخ يجب عليه أن يؤرخ الماضى كما يؤرخ الحاضر ، وأن يذكر الغلاة كما يذكر المعتدلين ، فاذا عاب الغلاة فليس عيبه إذا فهم قوم منه أنه يعنيهم

والناحية الثانية هى مادعوت إليه فى « مقدمة تاريخ القرآن » من أنه يجب على العلماء من الطائفتين أن يوسعوا صدرهم للنقد النزيه « ويتلقوا النتائج بصـدر رحب » ، فهذه شيمة العلماء حقاً ، فـكم أخطأ الشيعة وكم أخطأ السنيون ! فواجب الباحث أن يبحث المسائل حراً طليقاً ، ويتأهب للبحث وهو على الحياد بالنسبة للنتائج ، فسواء خرجت النتيجة صفراء أو سوداء لا يهمه ، لا أن يعتقد أولاً ثم يبحث عن البرهان الذى يؤدى إلى النتيجة التى اعتنقها من قبل ، فذلك ليس شيمة العلماء المخلصين للحق . وكل ما فى الأمر أن الواجب أن ينحى العامة وأشباههم عن الدخول فى مثل هـــذه المباحث لأنهم لا يستسيغونها ولا هم متهيئون لها ، وليست تنفعهم فى دينهم ولا دنياهم

بهذه الروح بحثت ، ولا أدعى العصمة ، فقد أكون أخطأت ؛ وقد وجه بعض اخوانى من الشيعة نظرى إلى أنى حين بحثت عولت على مصادر أهل السنة أكثر مما عولت على مصادر الشيعة ، وكان الواجب ألا يعتمد فى كلام خصم على خصم ، وأن ينظر فى قول كل فرقة إلى حكاية أصحابها وخصومها معاً ، ثم يمحص الحق من ذلك كله ؛ وقد أصغيت إلى هـذا القول واقتنعت بصحته ، فلما أردت أن أكتب فصل الشيعة فى الجزء الثالث من ضحى الاسلام توسعت ما وسعنى فى قراءة الـكتب المعتمدة عنـد الشيعة ، ولا أزال أقلبها ظهراً لبطن وأفـكر فيها من وجوهها المختلفة حتى يثلج صدرى للحق وأومن بما يقوم عليه البرهان من غير تحزب لناحية — وليس يتطلب منى أكثر من ذلك . وإنما يتطلب من قادة الرأى فى الشيعة والسنيين

ألا يضيق صدورهم حرجاً مما يقال متى خلصت نية القائل — وعلى القائل والكاتب أن يعمد إلى الحق والحق وحده ، وأن يقوله فى أدب لا فى تهاتر وسباب

وليس من الحق ألا يرضى الشيعة عن المؤرخ إلا إذا يجد كل عقائد الشيعة وصوبها ، كما ليس من الحق ألا يرضى السنيون عنه إلا إذا يجد كل عقائدهم وصوبها ، فالمؤرخ قاض عادل لا يهمه من رضى ومن غضب ، وهو لم ينصب للارضاء والاغضاب ، إنما نصب ليتعرف الحق ويجهر به

هذا ما أردت أن أقوله من الناحية العلمية ، وأرى من وراء ذلك كله إلى القول بأن البحث العلمى شىء والنزاع والخصام شىء آخر ، وأن البحث العلمى لا يمنع التفاهم والوئام ، بل هو إذا نظر اليه النظر الواسع العالى سبب من أسباب الألفة

أما الناحية العملية فى الوفاق فسهلة ميسورة متى أخلص القادة فى ذلك — وهى فى هذا الزمان أيسر وأسهل ؛ وإذا كانت الوطنية قد استطاعت أن توفق فى مصر بين الأقباط والمسلمين ، وفى سوريا بين المسلمين والمسيحيين ، فكيف لا تستطيع المصالح المشتركة القوية الواضحة ألا توحد بين الشيعة والسنيين وهم أهل دين واحد يجمعهم الايمان العميق فى صدورهم بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن كل الخلاف بينهم موجات على السطح وفقاقيع فى الظاهر يستغلها أهل الجاه والمال والرياسة فيوهمون أنها كل شىء فى الدين ، وليس ذلك بصحيح إلا إذا كانت فقاقيع الماء كل الماء ، وأمواج البحر هى كل البحر ، وزبد السوائل كل السوائل ، والعمامة الخضراء والحمراء والبيضاء هى كل الاسلام ؛ فالحق أن الاسلام أعمق من ذلك كله ، وما الخلافة والنزاع عليها والفروق الخفيفة فى مظاهر الوضوء والصلاة والزواج والطلاق ونحو ذلك إلا أشياء تافهة كل التفاهة بجانب القواعد الأساسية للدين ، والفرق بينهما كالفرق بين مظهر الانسان وقلبه ، وبين ملبسه ومخبره . ليكن الايمان بالأسس فى القلب ، ثم ليكن المظهر ما يكون ، فالله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم

وليقلل علماء الدين سنيون وشيعة من تمسكهم بالمظهر ومحافظتهم على وجاهتهم فى قومهم وأتباعهم وما يغله ذلك عليهم ، يروا أن الوفاق أقرب ما يكون وأسهل ما يكون ويضحكوا ويبكوا من سخافات السلف والخلف الذين أثاروا النزاع على التافه وتركوا اللباب

أليس من السخف أن يتقاتل طائفتان على خلاف تاريخى أكان علىّ أحق بالخلافة أم أبو بكر وعمر ، وعلى وأبو بكر وعمر فى قبورهم لا يعنون بشىء من ذلك ؟ أم ليس من السخف أن يتعادى طائفتان مسلمتان تقران كل أسس الاسلام من أجل اختلافهما فى جزئيات صغيرة فى أشكال الوضوء وما اليه ؟ أم ليس من السخف ألا يقر الشيعة بعلم ولا فضل ولا فكرة ولا عمل مجيد إلا إذا صدر من شيعى ؟ وألا يقر السنيون بعلم ولا فضل ولا فكرة ولا عمل مجيد إلا إذا صدر من سنى ؟.. لا لا أيها القوم ! جعفر الصادق رجل عظيم ، وأبو حنيفة رجل عظيم ، فليزر شيعة العراق أبا حنيفة لعظمته ، وليزر سنيو العراق مشهد الحسين لعظمته ؛ والأمهات يلدن النوابغ على السواء ، فلم تضن على الشيعة بنوابغ ولا على السنيين بنوابغ ، كما لم تضن على الأمم الأخرى بنوابغ ، فحصر كل فرقة تمظيمها لرجال فرقتها ضيق فى النظر وفقر فى الفكر

وإذا زال هذا كله وأمثاله — وهى فيما أرى من البديهيات — رأينا الخلاف قد تبخر ولم يعد له أساس ، ولا يبق إلا عند المؤرخ والباحث ، والمؤرخون والباحثون دائماً متصافون متى كان رائدهم الحق ، وشعارهم الصدق ، ولم تطوح بهم الأغراض والشهوات

ليس من وسيلة تدرأ هذا الخلاف إلا أن يتقدم علماء اليوم من الفريقين فيمحوا الآثار السيئة التى خلفها علماء الأمس

ولعل أصلح بقعة لذلك هى العراق ، لأنها أشد البلاد مظهراً لهذا الخلاف ، فيتعاون رؤساء الطائفتين لعقد مؤتمر فى بغداد من رؤساء السنيين والشيعة ، ويبحثوا وجوه الخلاف وكيف تزال فى جو هادئ مخلص ؛ وأسبق الطائفتين إلى هذه الدعوة أفضلهم ، ولا يجعلوا للعامة والغوغاء سلطاناً ، وليحذروا من أصحاب المطامع والشهوات ودسائسهم ، وليجعلوا شعارهم فى كل مجتمع وعند كل خلاف «مسلمون قبل كل شىء» «مسلمون قبل أن نكون شيعة وسنيين»

ولا بأس أن يدعوا قادة الفكر فى مصر والشام والحجاز للاشتراك فى هذا المؤتمر والتشديد فى حصر أغراضه فى ازالة الخلاف بين سنى وشيعى ، فلا يمسون أى موضوع آخر ، ثم يرسمون الطريق العملى لازالة هذا النزاع من تزاور الطائفتين ، واتخاذ شعار لهذا الوفاق ، وتبيين يوم يتخذ عيداً يذكر بهذا

الاتحاد ونحو ذلك . إنهم إن فعلوا وأخلصوا خلصوا من أكبر مشكلة يتعرض لها الطائفتان ، وأمكنهم أن يوجهوا هذه القوى — العظيمة التي تذهب هباء في الخلاف — إلى اصلاح شؤونهم الاجتماعية ، واستطاعوا أن يتعاونوا على رفع مستوى قومهم ؛ وعجبوا بعد قليل — لما يظهر من نتائج باهرة — كيف كانوا جميعاً في ظلام دامس ، وكيف كانوا هـذا الزمن الطويل يستمسكون بالعرض ، ويضيعون الجوهر ، ويفرطون في الكتاب ، ويحتفظون بالغلاف

وأقرر من الآن أني سوف لا أرد على من يتخذ بعض ما جاء في هذه المقالة وسيلة لاثارة النزاع من جديد ، إلا أن يفتح صاحبها مجالاً للكلام في مشروع المؤتمر ، أو وسائل الوفاق وبالله التوفيق . . . . ؟

أحمد أمين

عصبة الأمم وتطبيق العقوبات

تحريم الحـــرب

من الوجهة الدولية

وتشبيه الدولة بالفرد في دفع الاعتداء

لباحث دبلوماسي كبير

لأول مرة في التاريخ نشهد قراراً دولياً بأن حرب الاعتداء وسيلة غير مشروعة لتحقيق غايات السياسة القومية ، ولأول مرة في التاريخ تصدر دول العالم ممثلة في عصبة الأمم حكمها على دولة أوربية عظمى هي ايطاليا بأنها دولة معتدية ، وأنها بغزو الحبشة ترتكب خرقاً لقانون الأمم ؛ بل نشهد في الواقع ما هو أعظم من الأحكام النظرية ؛ نشهد عصبة الأمم تقرر باسم دول العالم أن توقع على ايطاليا طائفة من العقوبات الاقتصادية التي نص عليها في ميثاقها ؛ وهذه أول مرة تتخذ فيها عصبة الأمم مثل هذه القرارات الخطيرة الحاسمة ، وقد كان يبدو دائماً كلما وقعت أزمة دولية خطيرة أن هذه النصوص التي أدمجت في ميثاق عصبة الأمم وقت حمى السلام ، إنما هي نصوص خيالية لا سبيل إلى تطبيقها بصورة عملية ؛ ولكن يلوح لنا أن عصبة الأمم تسير هذه المرة بعزم واضح إلى تطبيق هذه التجربة الشائكة ، وأنها تزمع أن تصل بتطبيقها إلى نتائج عملية لا شك في أهميتها من الوجهة الدولية

وهذا الاقدام الذي تبديه العصـبة في مقاومة الاعتداء الايطالي على الحبشة وعلى السلام العام يثير بلا ريب كثيراً من الاعجاب ، ويرفع بلا ريب هيبة العصبة بعد أن كادت تنيض في الأعوام الأخيرة ؛ ولكن يجب ألا نبالغ في فهم الدور الذي تؤديه العصبة في هذا النضال الدولي الخطير ، أو بعبارة أخرى يجب أن نفرق بين العصبة كشخصية دولية معنوية ، وبين الدول التي تساهم في تكوينها وتشرف على توجيهها ؛ فمن الواضح أنه لو لم تقف انكلترا وقفتها المرونة في التمسك بميثاق العصبة ، ولو لم توفق السياسة البريطانية إلى اقناع الدول الأخرى بوجهة نظرها في تأييد الميثاق ، بل لو لم تقم انكلترا باتخاذ تلك الأهبات البحرية والعسكرية الخطيرة لتأييد موقفها ، لما استطاعت العصبة أن تقـدم بمثل هـذا العزم على تطبيق الميثاق واتخاذ قرارها الشهير في الحكم على إيطاليا بالاعتـداء وتوقيع العقوبات الاقتصادية عليها

ومن الواضح أيضاً أن بريطانيا العظمى لم تقف هذا الموقف الحازم من المغامرة الايطالية حباً في السلام فقط ، أو لأن بريطانيا تريد أن تكون حارسة للسلم ، أو أن تكون على حد تعبيرها « بوليسا » للقارة ، أو بوليسا للعالم . فبريطانيا أزهد ما يكون في مثل هذه المهمة التي تعرضها لمتاعب ومسئوليات لا نهاية لها ؛ ولكن الحقيقة أن هذه الحرب الاستعمارية التي تثيرها ايطاليا تعرض مصالح الامبراطورية البريطانية للخطر ، وفوز ايطاليا بافتتاح الحبشة وتحقيق حلمها في اقامة امبراطورية استعمارية في شرق أفريقية ، يهدد السيادة البريطانية في وادي النيل ، وفيما وراء البحار ، ويعرض المواصـلات الامبراطورية البريطانية لأخطار لا شك فيها ، وإذكاء مطامع ايطاليا القيصرية بالفتح يهدد سيادة انكلترا البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، وهي

عماد الطريق الامبراطورى إلى الهند وإلى استراليا . فهذه البواعث الخطيرة هى التى تحمل انكلترا قبل كل شىء على اتخاذ موقفها فى تحريك ميثاق عصبة الأمم ، وفى المغامرة بالدخول فى أية معارك بحرية أو برية يقتضيها تطبيق العقوبات الاقتصادية على ايطاليا

على أنه مهما تكن البواعث التى توجه السياسة البريطانية فى الآونة الحاضرة فلا ريب أن بريطانيا العظمى تقف إلى جانب السلم ، ولا ريب أنها بموقفها تؤيد سلام العالم ؛ وإذا كانت الفاشستية الايطالية بعنفها المضطرم ، ووسائلها المثيرة ، وأحلامها الامبراطورية ، وغرورها الأعمى ، تهدد الامبراطورية البريطانية فى البحر الأبيض والبحر الأحمر ، فانها تهدد سلام العالم أيضاً ؛ وربما كان من حسن الطالع أن يتحد هذان العاملان معاً ، وأن تجد بريطانيا من بواعث مصالحها الحيوية ما يدفعها إلى العمل فى تلك الآونة لتحطيم مشروعات ايطاليا الهمجية . وها نحن أولاء نشهد من اصرار بريطانيا على موقفها ، ومن تمسكها بتطبيق العقوبات الاقتصادية ضد ايطاليا ، ومن أهباتها البحرية والعسكرية ما يفسر خطورة البواعث والعوامل التى تجثم وراء هذا النزاع

وقد كثر الحديث حول العقوبات الاقتصادية التى تعنى بتطبيقها عصبة الأمم ضد ايطاليا المعتدية ؛ وهى عقوبات لها خطورتها وأثرها فى هذا العصر الذى يتوقف كل شىء فيه على المال ، وتستمد فيه قوى الدول من مواردها المالية قبل كل شىء ؛ فاذا شلت موارد الدولة من جراء مقاطعة اقتصادية صارمة تنظمها الدول الأخرى ، فلا ريب أن مشاريعها العسكرية تصاب أيضاً بنوع من الشلل يضطرها ازاء هذا الضغط إلى الخضوع . وقد أجملت المادة ١٦ من ميثاق عصبة الأمم ذكر هذه العقوبات ، ولسنا نرى لشرحها خيرا من إيراد نص هذه المادة كاملا وهو :

« إذا التجأ عضو من أعضاء العصبة إلى الحرب خلافاً للتعهدات المنصوص عليها فى المادتين ١٢ و ١٣ أو المادة ١٥ فانه يعتبر قد ارتكب عملا حربياً ضد كل أعضاء العصبة الآخرين ، ويتعهد هؤلاء أن يقطعوا فى الحال معه كل علائقهم التجارية والمالية ، وأن يحظروا كل علائق بين رعاياهم وبين رعايا الدولة التى خرقت الميثاق ، وأن يقطعوا كل الصلات المالية والتجارية والشخصية بين رعايا هذه الدولة وبين رعايا أية دولة أخرى ، سواء أكانت عضوا فى العصبة أم لا

« وفى هذه الحالة يجب على المجلس (مجلس العصبة) أن يوحى إلى الحكومات المختلفة ذات الشأن بتقديم القوى العسكرية أو البحرية أو الجوية التى يساهم أعضاء العصبة فى تقديمها للقوى المسلحة التى تقوم بالعمل على احترام تعهدات العصبة

« ويتعهد أعضاء العصبة أيضاً أن يعاون بعضهم بعضاً فى تطبيق الاجراءات الاقتصادية والمالية التى تتخذ طبقاً لهذه المادة والتى يراد بها أن تخفض إلى أدنى حد ما يمكن أن يترتب عليها من الخسائر والمضار ، ويتعهدون أيضاً بالتعاون فى مقاومة كل اجراء خاص يوجه إلى أحدهم من جانب الدولة التى خالفت الميثاق ، ويتخذون الاجراءات اللازمة لكى يسهل المرور فى أراضيهم لقوات أى عضو من أعضاء العصبة يساهم فى العمل المشترك الذى يقصد به العمل على احترام تعهدات العصبة

ويمكن أن يفصل من العصبة كل عضو ينتهك أحد التعهدات المترتبة على هذا الميثاق ، ويصدر قرار الفصل بموافقة أعضاء العصبة الآخرين الممثلين فى المجلس »

فهذه العقوبات الدولية يمكن إجمالها فى كلمة هى « المقاطعة الاقتصادية » وهذه المقاطعة هى التى تجد فى سبيل تنظيمها عصبة الأمم ضد إيطاليا ؛ وتجد إيطاليا من جهة أخرى فى سبيل اتقاء عواقبها ؛ وتعلل إيطاليا نفسها بأمل انقسام أعضاء العصبة وانهيار الجبهة التى استطاعت السياسة البريطانية أن تؤلفها ضدها حين البدء فى تطبيق العقوبات ، وتعتمد فى ذلك بادىء بدء على فرنسا التى تزداد كل يوم تردداً وإحجاماً ؛ وسنرى على أى حال نتيجة هذا الصراع فى القريب العاجل ؛ بيد أن الذى نريد أن نلفت النظر إليه هو أن تنفيذ هذه العقوبات بدقة سيقتضى بلا ريب تنظيم نوع من الحصار المسلح ضد الدولة المعتدية أعنى إيطاليا ، وقد يقتضى القيام ببعض الاجراءات والأعمال العنيفة ، وهذا أخطر ما فى التجربة ، فان إيطاليا تصرح دائماً بأنها ستقابل مثل هذه الأعمال العنيفة بمثلها ، وعندئذ يكون هذا الصدام الذى لا مفر منه ، بدء حرب ، يستحيل أن تحصر فى دائرة معينة ؛

ومن المحتوم أن تتحول فى الحال إلى حرب أوربية وربما إلى حرب عالمية

— ٢ —

على أننا نترك هذه التكهنات جانباً لنبحث ناحية أخرى من الموضوع . ولنفرض أولاً أن عصبة الأمم قد وفقت فى مهمتها ، واستطاعت الدول المتحدة أن ترغم إيطاليا على وقف الحرب الحبشية ، وأن تقنع بتسوية ودية تمنح بها بعض المزايا الاستعمارية ؛ فماذا يمكن أن يترتب على هذه النتيجة من الوجهة الدولية ؟ يمكن أن يترتب عليها تقرير مبدأ فى منتهى الخطورة أو بعبارة أخرى تأييده من الوجهة العملية ، إذ هو موجود بالفعل ، وهذا المبدأ هو تحريم الحرب الاعتدائية ؛ وقد نص على تحريم الحرب كأداة للسياسة القومية بمقتضى ميثاق كلوج ؛ ولكن هذا الميثاق لم يكن أكثر من وثيقة نظرية ؛ أما اليوم فان تحريم الحرب يقع بصفة عملية ، إذ ترغم دولة قررت عصبة الأمم أنها « معتدية » على وقف الحرب أو تعاقب على فعلتها بالمقاطعة الدولية . وهنا نستطيع أن نلمح وجه المقارنة الفقهية بين الدولة « المذنبة » وبين الفرد « المذنب » فى القانون العام ، وفى داخل المجتمع المتمدن يحرم على الفرد أن يرتكب ضد غيره عملاً من أعمال العنف ، ولو وقع عليه اعتداء ما فلا يسمح له أن ينتصف لنفسه ؛ ذلك لأن إقامة العدالة من حق المجتمع ، والقانون العام ينظم المجتمع ويرتب حقوق الأفراد وواجباتهم ، فاذا اعتدى على شخص فرد ما أو اعتدى على حقوقه ، كان القانون كفيلاً بمعاقبة المعتدى ، وكفيلاً برد الحق المسلوب ، وإذا تقرر ذلك فما الذى يمنع من أن تشبه الدولة فى جماعة الأمم بالفرد فى المجتمع ؟ وكما أن العنف محرم على الفرد — عدا ماله من حق الدفاع عن النفس أو المال — فكذلك يمكن أن يحرم العنف على الدولة وتحرم الحرب كأداة لتحقيق غايات السياسة القومية ، وإذ كانت الحرب مازالت تعتبر فى القانون الدولى أداة مشروعة للسياسة القومية ، فانه يمكن بتحريمها أن تغدو عملا محرماً غير مشروع ، والمقصود هنا دائماً هو الحرب الاعتدائية ، وهذا ماسعى اليه الساسة والفقهاء الذين اشتركوا فى وضع ميثاق تحريم الحرب أو « ميثاق كلوج » ، فاذا تقرر أن الحرب محرمة ، وأنها تعتبر خرقاً لمواثيق السلام وقانون الأمم ، فانه يمكن معاقبة الدولة التى تقدم عليها ، إذا قررت دول العالم ممثلة فى هيئة دولية عليا كعصبة الأمم ، أنها دولة معتدية ، وقررت بذلك أن تطبق عليها نوعاً من العقوبات يكفل ردها إلى صوابها

وهذا ما نشهده اليوم فى الواقع ، فان عصبة الأمم ، تقرر أن إيطاليا وهى عضو من أعضائها دولة معتدية فيما تقوم به من غزو للأراضى الحبشية ، وتقرر أن تطبق عليها العقوبات الاقتصادية التى نص عليها فى المادة السادسة عشرة من الميثاق ، ولكنا نكرر القول بأن عصبة الأمم ما كانت لتجرؤ على اتخاذ مثل هذه الخطوة لو لم تحركها يد السياسة البريطانية القوية ، وإلا فأين كانت عصبة الأمم يوم اعتداء اليابان على منشوريا والاستيلاء عليها تحت سمع العصبة وبصرها ؟ وإذا كانت عصبة الأمم تستطيع كشخصية معنوية تمثل فيها إرادة الأمم أن تحكم على الدولة الممثلة فيها أولها ، فمن الواضح أنه يقتضى لتنفيذ أحكامها قوة دولية أو وسائل ضغط معينة ، وهذه القوة أو الوسائل أشارت اليها المادة السادسة عشرة من الميثاق ، ولكنها لم تخلق أو توجد بعد ، ولو لم تتقدم بريطانيا العظمى بأهباتها وقوتها الساحقة مدفوعة بما تقدم من البواعث لتنفيذ العقوبات ، لبقى قرار العصبة قراراً نظرياً لاسند له ولا أثر

على أن من الاسراف فى التفاؤل والأمل أن نعتقد أن عصبة الأمم قد غدت محكمة الأمم العليا ، وغدت ملاذ السلم الأعلى ، وأن هذه الخطوة التى تقدم على اتخاذها اليوم ستغدو بالفعل مبدأ دولياً عالمياً يحتكم إليه فى كل الحوادث والظروف المماثلة . انها نظريات السلام والعدالة الدولية وحقوق الأمم تبدو فى الأفق ، وفى ظلها وباسمها تعمل عصبة الأمم ، ولكنها القوة فى الواقع تعمل من الوراء ظاهرة غير مستترة ؛ وهى تعمل مسيرة بالبواعث والمصالح الخاصة التى كان من حسن الطالع أنها تتفق مع قضية العدالة الدولية والسلام العالمى ؛ ولكن هل يمكن أن تجتمع مثل هذه الظروف دائماً إذا ما تعلق الأمر باقامة الحق والعدالة الدولية ؟ هذا ومن جهة أخرى فانه من المرجح جداً أن تطور الحوادث على هذا النحو الخطر الذى نشهده قد يقضى فى النهاية على كل مظاهر الحق ونظريات السلام والعدالة الدولية ؛ وقد يضطرم العالم من جديد بحرب تودى بعصبة الأمم وكل ما يمثل فيها من النظريات والمثل الدولية العليا

(* * *)

النقـــد والمثال

للأستاذ أحمد الزين

تحدثتُ في فصلٍ سابقٍ عن المعنى، وأنّه العنصرُ الأولُ من عناصر الشعر، بل هو الشعرُ نفسُه، وقلت: إن الألفاظ ليست إلا ثوباً يحيط به، ويقدّر على أجزائه، وأن حُسنَها وروعتَها ليست إلا وسائل يقصد بها استمالة القلوب النافرة، واجتذاب الميول الجامحة

ولست أريد بالمعنى أيّ معنى يخطر بالخاطر، وأول ما تتحدث به نفس الشاعر، والحقائق المجرّدة الأصلية التي تقع في الفكر لأوّل مرّة قبل أن تتصرف فيها الملكة الفنية، فان ذلك لا يسمى شعراً وليس منه في قليل ولا كثير، لأن هذه المعاني مشتركة بين جميع الأذهان، ولا فضل للشاعر فيها على غيره؛ وإنما يقصد بنظمها ضبط الحقائق المتفرقة، وضم المسائل المنتثرة ليسهل حفظها على من أراده، لا التأثيرُ في العاطفة التي يقصد إليه الشاعر بشعره، ومن ذلك قول المرحوم حافظ بك ابراهيم:

البرلمان تهيأت أسبابه لم يبق من سبب سوى المفتاح

وقوله من قصيدة يودّع بها صاحب الدولة المرحوم سعد زغلول باشا في بعض أسفاره لمفاوضة الانجليز:

الشعب يدعو الله يا زغلولُ أن يستقلّ على يديك النيل

وقوله في هذه القصيدة أيضاً:

فزعيمهم شاكي السلاح مدجّجٌ وزعيمنا في كفه منديل

وقوله يمدح ثلاثة من الأغنياء قد وقفوا بعض الضياع على إحدى المدارس المصرية:

ثلاثة من سَراة النيل قد وقفوا على مدارسنا سبعين فدانا
وخالفوا سنةً في مصر شائعةً جرّت على العلم والآداب خسرانا
فان عادتهم في مصر أن يقفوا على القبور وإن لم تحو إنسانا

فهل ترى فرقاً بين تلك الأبيات والأخبار التي تقرؤها في مختلف الصحف إذا نظمت على أجزاء العروض وبحوره؟

وكذلك قول المرحوم أحمد شوقي بك في قصيدته التي استقبل بها مصر حين عاد من الأندلس:

وكلُّ مسافر سيؤوب يوماً إذا رُزق السلامة والايابا

إلا أن ما في بقية القصيدة من جلال المعاني، وعلوّ الألفاظ، ورقة الديباجة قد ستر ما يشعر به الأديبُ المتذوّق في هذا البيت من عاديّة المعنى، وخفته وابتذاله، وقلّة خطره، واشتراك جميع الأذهان فيه

ومن هذا النوع أيضاً تلك المتون التي ينظمها العلماء في مختلف الفنون ليسهل حفظها واستذكار العلم بها على الطالب، كالشاطبية في القراءات، وألفيّة النحو، والبهجة الورديّة في الفقه، وعقود الجمان في البلاغة، وما إلى ذلك

ومنه أيضاً ما كان يُنظم في عهد الثورة المصرية من القصائد المسّجلة لحوادثها لا لاثارة العامة، وتنشرها الصحف إذ ذاك في كل يوم لأشخاص لا يجيدون قراءة الشعر فضلاً عن قوله، فلا يلبث أحدهم أن يسمع الحادثة عن بعض الزعماء، أو يرى طوائف الجنود المدججة تجوب الأحياء، أو يسمع الخبر، حتى يجلس جلسة يسيرة يعصر فيها ذهنه، ويكدّ قريحته، وينشيء قصيدة طويلة الذيول، كثيرة الفضول، لا يذوق الأديب فيها للشعر طعماً، ولا يحسّ له فيها عيناً ولا أثراً؛ وعفا الله عن الغرابلي باشا، فكم أمطرنا سحابه الهاطل من هذه القصائد ما يصكّ الأذواق والأسماع، وإن استهوى قلوب العامة والرعاع، فهذا الشعر أشبه بالخطب الشعبيّة منه بالقصائد الشعرية

فاذا تصرفت ملكة الشاعر في تلك المعاني الأصليّة، وتناولتها بأناملها الرقيقة الصناع، فأضافت إليها شيئاً من جمال الشعر وروعته، وسحر الفن وفتنته، ومزجتها بخيال مستعذب، أو تعليلٍ مستحسَن، أو تشبيهٍ رقيق، أو مجازٍ غريب، أو تصويرٍ فاتن، أو وضعٍ حسَن، أو ترتيبٍ جميل، أو حرارة تحيي العاطفة وتستثير الشجن، أو روحٍ فيها تحرّك الحاسّة وتجتذب الشعور، أو غير ذلك، تحولت تلك المعاني الأصلية إلى معانٍ شعريةٍ تحسب أن صاحبها قد اخترعها، ولم تكن معروفةً لأحد قبله، ووقع الشعر من القلوب موقعه، وأصاب من كل نفسٍ موضعه؛ وكان كما قلت في صفة شعر المرحوم اسماعيل صبري باشا في القصيدة التي رثيته بها:

متلمّسٌ من كلّ نفس سِرّها وملامسٌ من كلّ قلب موضعا

طبُّ النفوس يعيد في ميت المنى … روحاً ويبعث في القنوط الطمعا
شعرٌ إذا يتلى تكاد لحسنه … تثب القلوب من الصدور تطاما
فكأنها في كل بيت تبتغى … نبأ عن الأحباب فيه أودعا
فلو أن شعرك كان سجعاً للقطا … كاد الأراك مع القطا أن يسجعا

ومن المعاني الشعرية ما تراه شائعاً في شعر الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين ومن نهج نهجهم من التحدث إلى مالا يفهم خطاباً ، ولا يحير جواباً ، كمخاطبة الأطلال الدارسة ، والرسوم الطامسة ، ومساءلة الديار الخالية والمغاني المقفرة عن أهلها متى رحلوا ؟ وأين حلوا ؟ والدعاء له بسقيا المطر ، وأن يعود لها ما فقدته من زمان غبر ، كما قال أبو تمام :

دِمنٌ ألم بها فقال سلامُ … كم حلّ عقدة صبره الالمامُ
لا مرّ يوم واحد إلا وفى … أحشائه لمحلتيك غمام
حتى تعمّم صُلع هامات الربى … من نوره وتأزر الأهضام
ولقد أراك ، فهل أراك بغبطة … والعيش غض والزمان غلام
أعوام وصل كان ينسى طولها … ذكرُ النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيامُ هجر أردفت … نجوى أسىً فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها … فكأنها وكأنهم أحلام

وقول مهيار الديلمي :

سلمت وما الديارُ بسالماتٍ … على عنت البلى يا دارَ هند
ولا برحت مفوّفة الفوادى … تصيب رُباك من خطأ وعمد
بوقطة الثرى والترب هاد … وجدية الجنى والعام مكدى
على أني متى مطرتك عيني … فقضلٌ ماسقاكِ الغيث بعدى
أميل إليكِ ، يجـذبني فؤادى … وغيرُكِ — مااستقام السير — قصدى
وأشفق أن تبدّلك المطايا … بوطأتها كأن ثراكِ خدّى

وعلة الجمال في ذلك أن قوة العاطفة قد ملأت قلب الشاعر وضاقت بها نفسه ، وضعف عنها احتماله ، فأفاضها على ماحوله ، وأسبغها على مايشاهده من آثار الديار ، والدمن القفار ؛ متخيلاً أن لها ماله من قلب وكبد ، وأنها تحس مايحس ، وتجد مايجد ؛ ومن ذلك أيضاً مخاطبة الحمائم على الغصون ، والافضاء إليها بما يكنه الشاعر من لوعة وشجون ، كقول الشاعر :

تذكرني أمّ العلاء حمائمٌ … تجاوبن أن مالت بهنّ غصون
تملأطلا ريشكن من الندى … ويخضرّ مما حولكن فنون
ألا ياحمامات اللوى عدن عودة … فإني إلى أصواتكن حزينُ
فعُدن فلما عدن كدن يمتنني … وكدتُ بأسراري لهن أبين
فلم تر عيني مثلهن حمائماً … بكين ولم تدمع لهن عيون

وقول أبي كبير الهذلي :

ألا ياحمام الأيك إلفك حاضر … وغصنُك ميّادٌ ففيم تنوحُ
أفق لاتنُح من غير شيء فإنني … بكيتُ زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فشطّت غربةً دار زينب … فها أنا أبكي والفؤادُ قريح

ولهذا الشعر قصة طريفة لا بأس من روايتها هنا لما اشتملت عليه من المعاني الشعرية التي نحن بصدد شرحها في هذا الفصل

لما وُلّى عبد الله بن طاهر خراسان أخذ معه عوف بن محلّم الخزاعي ، فلما كانا (بالرّى) جلسا تحت شجرة ، فسمعا صوت عندليب يغرّد ، فقال عبد الله : هل سمعت مثل هذا الصوت ياعوف ؟ قال : لا والله ، ألا قاتل الله أبا كبير الهذلي حيث يقول : « ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر » الأبيات . فقال عبد الله بن طاهر : لقد كان في هذيل مائة وثلاثون شاعراً وكلهم مُفلِق ، وكان أبو كبير أحسنهم . بالله عليك ياعوف إلا ما أجزت هذه الأبيات ؛ فقال : كبرتْ سني ، وفنى ذهني ، وأنكرتُ ما كنتُ أعرف ؛ فقال عبد الله : أقسمت إلا ما فعلتَ ؛ فقال :

أفي كل عام غربةٌ ونزوح … أما للنوى من ونيةٍ فتريح
لقد طلّح البين المشتُّ ركائبي … فهل أرين البين وهو طليح
وشوّقني (بالرّى) نوح حمامة … فنحت وذو اللبِّ الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دمعةً … ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما … ومن دون أفراخي مهامه فيح[1]
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضرٌ … وغصنك ميّادٌ ففيم تنوح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى … فتلقى عصا التسيار وهي طروح

(١) الفيح : جمع أفيح وفيحاء : أي الواسعة الترابية الأطراف

قال الفتى يُدنى الفتى من صديقه وعدم الغنى بالمسرين نزوح

فبكى عبد الله بن طاهر وحلف ألا يُعمل معه خفاً ولا حافراً إلا بالرجوع إلى أهله ، وأمر له بثياب ودنانير ؛ فقال عوف :

يا ابن الذى دان له المشرقان طُرّا وقد دان له المغربان

إنّ الثمانين وُبلِّغتَها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

وبدّلتنى بالشطاط[1] انحنا وكنتُ كالصعدة[2] تحت السنان

وبدّلتنى من زَماع[3] الفتى وهمّتى همَّ الجبان الهِدان[4]

وقاربتْ منّى خُطى لم تكن مقاربات وثنتْ من عِنان

وأنشأتْ بينى وبين الورى عَنانة من غير نَسج العَنان[5]

ولم تَدَع فىّ لمستمتعٍ إلا لسانى وبحسْبى لسان

أدعو به الله وأثنى به على الأمير المُصْعَبِىّ الهِجان[6]

فقرّبانى بأبى أنتما من وطنى قبل اصفرار البنان

وقبل مَنْعاى إلى نسوةٍ أوطانها حرّانُ والرَّقّتان

أما أمثلة المعانى الشعرية من شعر المعاصرين ، فمن ذلك قصيدة (مصاير الأيام) للمرحوم أحمد شوقى بك ، فقد بلغت هذه القصيدة من جمال الفن ، ووفرة هذه المعانى الفاتنة غاية لم تبلغها قصيدة أخرى من شعر المعاصرين ، وأنا أنصح للأدباء والمتأدبين بحفظها وروايتها فانها تعتبر بحق من معجزات الشعر الحديث لما فيها من دقة فى تصوير الحياة بجميع مراحلها حتى ليخيَّل لك أنها حياة كاملة من مبدئها إلى نهايتها يقول فى أولها :

ألا حبّذا صحبةُ المكتبِ وأحبِبْ بأيامه أحبِبِ !

ويا حبذا صبية يمرحون عِنانُ الحياة عليهم صَبى

كأنهم بَسماتُ الحياة وأنفاسُ رَيحانها الطيّب

يُراح ويُغدى بهم كالقطيع على مشرق الشمس والمغرب

إلى مَرْتع ألِفوا غيرَه وراعٍ غريبِ العصا أجنبى

ومستقبَلٍ من قيود الحياة شديدٍ على النفس مستصعَب

فراخ بأيكٍ فمن ناهضٍ يروض الجناحَ ومن أزغب

تقاعدُهم من جَناح الزمان وما علموا خطرَ المركَب

عصافيرُ عند تهجّى الدروس مِهارٌ عرابيدُ فى الملعب

خليّون من تبِعات الحياة على الأمّ يُلقونها والأب

جنونُ الحداثة من حولهم تضيق به سَعةُ المذهب

عدا فاستبدّ بعقل الصبىّ وأعدى المؤدِّبَ حتى صبى

لهم جَرَسٌ مطربٌ فى السراح وليس إذا جدّ بالمطرب

توارت به ساعةٌ للزمان على الناس دائرةُ العقرب

تَشُول بإبرتها للشباب وتقذف بالسمّ فى الشُّيَّب

يَدقّ بمطرقتيها القضاء وتجرى المقادير فى اللَّولب

وتلك الأواعى بأعناقهم حقائب فيها الغد المختبى

ففيها الذى إن يُقم لا يُعَدّ من الناس أو يَمض لم يُحسب

وفيها اللواء وفيها المنار وفيها التبيع وفيها النبى

وفيها المؤخَّر خلف الزحام وفيها المقدَّم فى الموكب

ويقول فى آخرها :

قد انصرفوا بمدعِل الكتاب لبابٍ من العلم لم يكتب

حياةٌ يغامر فيها امرؤٌ تسلح بالناب والمخلب

وصار إلى الفاقة ابن الغنىّ ولاقى الغنى ولد المترب

وقد ذهب المتلى صحةً وصح السقيم فلم يذهب

وكم منجب فى تلقى الدروس تلقى الحياة فلم ينجب

وغاب الرفاق كأن لم يكن بهم لك عهدٌ ولم تصحب

إلى أن فنوا ثلةً ثلةً فناءَ السراب على السبسب

ولنذكر لك مثالاً آخر للمعنى الشعرىّ من شعر شوقى أيضاً موضحين لك معناه الأصلىّ ، وكيف استطاع صاحبه أن يحوّله إلى معنًى شعرىّ بما أدخله عليه من المحسنات التى تلعب بالألباب لعب الشمول ، قال يصف أبا الهول :

أبا الهول طال عليك العصُر وبلغت فى الدهر أقصى العمُر

فيا لدة الدهر لا الدهر شاب ولا أنت جاوزتَ حد الصغر

إلامَ ركوبك متن الرمال لطىّ الأصيل وجَوْب السحر

تسافر منتقلاً فى القرون فأيان تلقى غبار السفر

أبينك عهدٌ وبين الجبال تزولان فى الموعد المنتظر

الخ . . .

(١) الشطاط : حسن القوام والاعتدال

(٢) الصعدة الفناة المستوية

(٣) الزماع للمضاء فى الأمر والعزم عليه

(٤) الهدان : الأحمق الجافى الوخم الثقيل فى الحرب

(٥) العنان بفتح العين : السحاب ؛ يريد بهذا البيت ان السن قد أضعفت بصره (٦) الهجان : الكريم

فان المعنى الأصلي لهذه الأبيات لا تزيد على أنه يصف أبا الهول بطول البقاء ، وأن العصور المتوالية والأجيال المتعاقبة لم تنل منه منالاً ، ولم تصدّع له بناء ، فانظر إلى عبقرية شوقى كيف أتت بذلك المعنى اليسير واستخرجت منه تلك المعانى الكثيرة الساحرة ومزجته بتلك المحسنات الفاتنة ؛ أتراه لو أنه اقتصر على نظم المعنى الأول كان يعدّه أصحاب الذوق الشعرى قد صنع شيئاً أو أتى بجديد ؟ ولا يفوتنا فى هذا الفصل التنبيه على وفرة هـذه المعانى الشعرية الساحرة ، وقوّة الجمال الفنى الرائع فى شعر الرافعى ، فانك تحسّ بذلك الجمال فى كل بيت من أبياته ، بل فى كل سطر من نثره ، بل فيه هو إذا جلست إليه وتحدث إليك ، فهو شعر كله ؛ وإنما أنسب الغموض المتوهم فى بعض أبياته إلى قصور ذهن المتوسطين من القراء ، وإلى ضيق الألفاظ المحدودة عن أن تحصر هذا الجمال المنوى الذى لا يحدّ ؛ إلا أننى أرى أن معانيه من صنعة الفكر وابتكار الذهن ، لا من وحى العاطفة وإملاء الاحساس . وإليك بعضاً من شعره ليتبين لك صحة ما ذهبت إليه ؛ قال يصف بائسة حسناء أفقرتها الحرب :

طريدةُ بؤس ملّ من بؤسها الصبرُ
وطالت على الغبراء أيامها الغُبر

وكانت كما شاءت وشاء جمالها كما اشتهت العليا كما وصف الشعر

تلألأ فى صدر المكارم دُرّةً يحيط بها من عقد أنسابها درّ

وما برحت ترقى السنين وتمتلى وكل المعالى فى طفولتها حِجْر

فكانت كزَهْرٍ نضّر الفجرُ حسنَه
ولما علت كالنجم أطفأهـــا الفجر

تقاسمت الحسن الإلهى وأثنى يقاسمهـا ، فالأمر بينهما أمر

فللشمس منها طلعةُ الحسن مُشرقا
وفيها من الشمس التوقد والجمر

وللزّهر منها نفحةُ الحسن عاطرا وفيها ذُبولٌ مثلما ذَبل الزهر

وللظبى منها مقلتاها وجيدها وفيها من الظبى التلفت والذعر

وما قيمة الحســـناء يقبح حظها
وتَذوى بروض الحب أيامها الخُضر

فما الحسن فخر للحسان وإنما لخـــالقه فيما يريد به سرّ

ضعيفة أنفاس المنى بعد ما غدت رقابُ أمانيهـا يغلّلها الفقر

وبين تخطّى أيامها كل عثرة يزلزل أقدامَ الحياة بها العُسر

وزّجت بها الأحزان فى بحر دمعها وليس لبحر الدمع فى أرضنا برّ

إذا استنبئوها أرسلت من دموعها
لآلئ حزن كلٌّ لؤلؤة فِكْر

وإن سألوها لجلجت فكأنما عرا اللفظ لما مرّ من فمها سُكْر

مشرّدة حيرى تنازعَ نفسها فريقان ذلٌّ لم تعوّده والكِبْر

إلى أن قال فى هذه القصيدة يصف ما فى الانسان من شرّ وسوء :

رأت كل مخزاة من الشر تلتوى ويهرب ذعراً من جنايتها العذر

رأت أثراً تدمى به الأرض والسما
وليس سوى الانسان فى جرحه ظُفْر

أليس يرى الانسانُ فى القرد شبههُ
فهل ذاك إلا من تكبّره سُخْر

كما عاقب الله الأسود لكبرها فجاء لنا فى صورة الأسد الهرّ

وهى طويلة

فقد عرفت الآن نوعين من المعانى وعرفت الفرق بين المعانى الأولية والمعانى الشعرية التى هى من مقومات الشعر وأصوله

فينبغى للشاعر إذا أراد أن يكون شعره مخصب المعانى ، متنوع الأغراض ، أن يقصد إلى المعنى قبل ألفاظ البيت وقافيته ، فيمزجه بالمحسّنات التى سبق ذكرها ، ويهذبه تهذيباً يقرّبه من العواطف ليحدث فيها أثره ، ويبعث الحياة فيما همَدَ منها . وبعض الشعراء قد تعوزهم من البيت قافيته فيتطلبونها قبل المعنى ، ويتلمّسونها قبل إعداد الغرض ، فاذا ظفروا بالقافية أتوا بالمعنى على مقتضاها ، فيخرج الشعر مكبّلة معانيه ، مظلمة نواحيه ، ضيق القاصد ، قليل الأغراض ؛ وكثيراً ما ترى ذلك أيضاً فى شعر شعراء البديع الذين لا يقصدون من البيت أو القصيدة إلا إلى ذلك النوع البديعى الذى لا يحرّك نفساً ، ولا يهز حساً . فقد أجهزوا على الشعر بالحرص على هذه المحسّنات اللفظية إجهازاً تاماً ، وصيروا البكاء عليه فى جميع الأقطار عاماً . وإليك أبياتاً من قصيدة لصلاح الدين الصفدى كتب بها إلى صديقه جمال الدين بن نباته المصرى ، وقد ضمنها شطرات من معلّقة امرئ القيس التى أولها : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » وجعل صدر كل بيت من شعره وعجزه من قصيدة امرئ القيس ، قال :

أفى كل يوم منكِ عَتْبٌ يسوءنى
(كجلمود صخر حطه السيل من علِ)
وتَرمى على طول المدى متجنّياً
(بسهميكِ فى أعشار قلبٍ مقتّل)
فأمسى بليلٍ طال جنح ظلامه
(علىّ بأنواع الهموم ليبتلى)
واغدو كأن القلب من وقدة الجوى
(إذا جاش فيه حَميُه غَلْىُ مِرجَل)
تطير شظاياه بصدرى كأنها
(بأرجائه القصوى أنابيشُ عُنصُل)
وسالت دموعى من هوى ولوعتى
(على النحر حتى بلّ دمعىَ محملى)

وهى طويلة ، وقد أجابه ابن نباتة بقصيدة مثلها ضمّنها شعر امرئ القيس أيضاً ، قال :

فَطَمتَ وَلائى ثم أقبلتَ عاتباً
(أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلّل)
بروحىَ ألفاظ تعرّض عتبُها
(تعرّضَ أثناء الوشاح المفصّل)
فأحيين وداً كان كالرسم عافياً
(بسِقْط اللوى بين الدّخول فحومل)
تعفّ رياح الغدر منك رقومَه
(لِما نسجتْها من جَنوب وشمأل)
نعم قوّضتْ منك المودّة وانقضت
(فيا عجبا من رحلها المتحمّل)

وهى طويلة أيضاً

فهل ترى فى هذا الشعر غير القدرة على الملاءمة بين شعرهما وشعر امرئ القيس ، والمهارة فى التوفيق بين المعانى المتباعدة ، والأغراض المتباينة ؟ على أن هذه القدرة ضائمة القيمة حقيرة الخطر إذا قيست بما جرّه تكلف التضمين على هذه الأبيات من تفاهة وبرود ، وخلوها من روح الشعر . ولنا فى هذه الفصول عودةٌ إلى شعراء البديع وغيرهم ممن يحرصون على إظهار القدرة اللفظية أكثر من غيرها فى شعرهم

أحمد الزين

٤٢ ٥ ٥ .

معركة عدوى*

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمى

رئيس أركان حرب الجيش العراقى

أخذت الجرائد والمجلات فى الآونة الأخيرة تبحث فى معركة عدوى التى انتصر فيها الأحباش على الطليان . وكثيراً ما يذكرها الطاغية موسولينى ، ويحث الشبان الفاشيست على محو وصمة العار التى لحقت بالجيش الطليانى ، ويعلن للملأ أنه عازم على الانتقام من الأحباش

وقعت هذه المعركة فى ١ مارس ١٨٩٦ فى أطراف عدوى بين الجيش الطليانى البالغ عدده زهاء عشرين ألفاً ، والجيش الحبشى البالغ مقداره زهاء ثمانين ألفاً ؛ ورغم حيازة الجيش الطليانى على الأسلحة الجيدة ، وتنظيمه على أحدث الأساليب ، انتصر الأحباش عليه انتصاراً مبيناً ، وأوقعوا به خسارة فادحة بلغت ٢٤٨ ضابطاً ، و ١٥٤٠٠ جندى ، بين قتيل وجريح وأسير ، ونالوا بذلك صك استقلالهم الذى امتنعت ايطاليا عن الاعتراف به

لم يكن الجيش الحبشى جيشاً منظما على الوجه المطلوب ، بل كان مؤلفاً من أناس مسلحين بأسلحة متنوعة ، كالبندقية والحربة والسيف والترس والقوس وغير ذلك ، وكان يقودهم رؤساؤهم على الطريقة البدوية ، وكانت مدافعه قدعة يبلغ عددها الأربعين ؛ وكان لدى الجيش الطليانى أربعة وستون مدفعاً حديثاً

وقبل البحث فى هذه المعركة رأينا من المفيد أن نذكر باختصار جغرافية الحبشة وتاريخها وعلاقاتها بالدول المستعمرة

(*) أصدر الجنرال التركى كاظم قره بكر باشا كتاباً جليلا عن الحبشة ؛ وعنوانه « ايطاليا والحبشة » ، وهذا الجنرال من أشهر قادة الترك الذين برزوا فى الحرب العامة وفى حرب الاستقلال ، وكان يقود الجيش الشرق الرابط فى شرق الأناضول فى حرب الاستقلال ، وتغلب على الجيش الأرمنى فأضاف إلى تركيا مناطق القرص وأردهان ، وبعد تلك الحرب انتخب مندوباً فى المجلس الوطنى الكبير . وكان معارضاً لالغاء الخلافة فلم ينتخب بعد ذلك ، فاعتزل السياسة وتبع فى داره فى استانبول ، وانكب فى المدة الأخيرة على التأليف فأصدر الكتاب المذكور . والكتاب يقع فى ٤٣٨ صفحة ، وهو مزين بالرسوم والخرائط ، وقد وضعه بعد أن طالع مؤلفات كثيرة وهو شامل كل ما يحتاج اليه القارىء . وقد اقتبست منه أكثر المعلومات الواردة فى هذا المقال

جغرافية الحبشة

تقع الحبشة فى الشمال الشرقى من افريقية ، ويحيط بها من الشرق مستعمرة اريترة الطليانيــة ، والمستعمرات الصومالية الفرنسية ، والبريطانية والطليانية ؛ ومن الشمال مستعمرة اريترة والسودان المصرى ؛ ومن الغرب والجنوب المستعمرات البريطانية فى وسط افريقية

ولا منفذ للحبشة إلى البحر الأحمر ، وقد سدت دول الاستعمار طريق البحر فى وجهها ، فجعلتها خاضعة لها فى تجارتها واقتصادياتها . وتبلغ مساحتها السطحية زهاء ١,١٢٠,٤٠٠ كيلو مترا مربعاً ؛ وتقدر نفوسها باثنى عشر مليوناً ؛ وهذه النفوس لا تنتمى إلى قومية واحدة ، ولا تدين بدين واحد ؛ وفيما يلى الشعوب التى يتألف منها سكان الحبشة :

الأمحرة ، الغالا ، السيدامو ، الصومال ، الدناكل ، الزنوج ودين الدولة الرسمى المسيحية ، والمذهب يعقوبى . وفيما يلى عدد النفوس بالنظر إلى الأديان :

العــــدد	
٤,٥٠٠,٠٠٠	مسيحيون (يعاقبة)
٣,٠٠٠,٠٠٠	مسلمون
٣,٥٠٠,٠٠٠	وثنيون
٥٠,٠٠٠	يهود
٤٠,٠٠٠	كاثوليك
٥,٠٠٠	الاتحاد اللاتينى

واللغة الرسمية هى اللغة الأمحرية وهى شعبة من اللغات السامية والعاصمة أديس أبابا ونفوسها زهاء ١٠٠ ر ٠٠٠ نسمة وهى متصلة بالميناء جيبوتى عاصمة المستعمرة الفرنسية بالسكة الحديدية

وصف البلاد — السهول والجبال

تتألف بلاد الحبشــة من جبال وسهول . والأراضى السهلة واقعة بالقرب من الساحل . أما الأراضى الجبلية فهى فى داخل البلاد . وإذا ما أنعمنا النظر فى خريطة الحبشة رأينا أن سلاسل الجبال الواقعة إلى الشرق وإلى الجنوب قد كونت مثلثاً متساوى الأضلاع : الضلع الشرقى منه ضفاف البحر الأحمر وخليج عدن ، والضلع الجنوبى يمتد من رأس عسير القابل لجزيرة سومطرة إلى الشرق ، والضلع الغربى يمتد من الشمال إلى الجنوب

والأرض الواقعة فى هذا المثلث هى الأرض السهلة المتموجة من بلاد الحبشة والمتاخمة لمستعمرة أريترة الطليانيــة والصومال الفرنسى والبريطانى . والقسم الشمالى منها صحراء دناكل القاحلة ، وإلى جنوبى الضلع الجنوبى من ذلك المثلث تقع أرض سهلة متموجة أخرى تتألف منها بلاد الغالا وفيها قصبة ولوال التى نشأ الخلاف عليها بين إيطاليا والحبشة

وليست الأرض المتموجة خالية من الجبال ، فالجبال منتشرة فيها هنا وهناك ، إلا أنها أقل وعورة من المناطق الجبلية الواقعة إلى غربى الضلع الغربى من المثلث المذكور . ومع ذلك تقع سفوح الجبال الشرقية إلى شرقى هذا الضلع وهى شديدة الانحدار كثيرة المناعة والوعورة

والجبال فى الحبشة تحيط البلاد الداخلية بسور منيع طالما وقف فى وجــــه المستعمرين وساعد الأحباش على الاحتفاظ باستقلالهم

ويشبه الوضع الجبلى فى داخل بلاد الحبشة خطوطاً مستحكمة ، فخط منها فى الشرق يمتد من الشمال إلى الجنوب على موازاة الساحل ويسيطر على السهول ويسد طرق الاستيلاء الممتدة من الساحل . وهذا الخط هو السلسلة التى تؤلف ضلع المثلث الغربى

وهناك خط آخر ممتد من رأس عسير فى الصومال البريطانية على موازاة ساحل خليج عدن الجنوبى إلى أن يصل إلى قصبة (هرر) [1] ثم ينعطف نحو الجهة الجنوبية الشرقية ثم إلى الجنوب موازياً للبحيرات الواقعة فى جنوبى الحبشة ، وهو السلسلة التى تؤلف الضلع الجنوبى للمثلث . وهذا الخط يعلو ارتفاعاً ويشتد مناعة كلما تقدمنا من الشرق إلى الغرب ، وكأنه الخط المستحكم الأول الذى يسد طرق الهجوم فى وجه القوات الزاحفة من الصومال الطليانية للتوغل فى صحراء الغالا

(١) لم نتأكد من أسماء الأعلام بالضبط فكتبناها كما وردت فى الكتب الأجنبية

وغير هذين الخطين توجد خطوط أخرى تمر بذرى الجبال الشامخة منفصلة عن الخط الشرق وممتدة من الشرق إلى الغرب على موازاة حدود أريترة الطليانية الشمالية كأنها خطوط مستحكمة متوازية لصد القوات المتقدمة من الشمال على التعاقب

ومع وقوع الأرض السهلة والأرض المتموجة والحافات الشرقية الوعرة فى شرق الخط الأول الممتد من الشمال إلى الجنوب والمسيطر على صحراء الدناكل تشتد الأرض وعورة وتزداد مناعة فى هذا الخط ذاته وفى غربيه – أى فى الهضبة الحبشية التى تقطعها عدة سلاسل جبلية ممتدة من الشرق إلى الغرب على ما سبق ذكره ؛ وفى أطراف بحيرة تانا تلتف الجبال بعضها ببعض فتكون المعقل المركزى للحبشة بشكل منحرف ، ضلعاه القصيران فى اتجاهى الشرق والغرب ، وضلعاه الطويلان فى اتجاهى الشمال والجنوب ؛ وتقع العاصمة (أديس أبابا) فى طرف الضلع الشرق

أما منطقة البحيرات الواقعة فى جنوبى الحبشة فحاطة من الشرق والغرب بسلسلتين جبليتين ؛ وهما طرفا الخط الأول والخط الثانى الممتدين من الشرق إلى الغرب ، وفى وسط هاتين السلسلتين تعلو البحيرات فتؤلف هضبة مرتفعة

مما تقدم نعلم أن داخل بلاد الحبشة قلعة منيعة ذات عدة خطوط مستحكمة تسيطر على السهول فى الشرق والجنوب ، وهى مؤلفة من عدة معاقل كونتها الهضاب الشامخة بجبالها وغاباتها

وبحيرة (تانا) تمد وادى النيل بالمياه فى موسم الصيف بواسطة رافده النيل الأزرق ، وهى ذات خطورة خاصة لمصر والسودان ، ولولاها لما فاض النيل فى كل سنة فسقى الحقول الواسعة والمزارع الخصبة التى ضرب بها المثل فى فجر التاريخ ؛ وسبب ذلك أن الثلوج المتراكمة فى ذرى الجبال تذوب فتختلط بالأمطار الغزيرة التى تنزل صيفاً فتجرى فى الوديان المتشعبة من الجبال وتنصب جميعاً فى النيل الأزرق فيطفح بالمياه وبالطين ، وينقل البركة والخير إلى بلاد السودان ومصر

ولنذكر بعد ذلك المرتفعات التى فى أرض الحبشة :

الأرض التاخمة للساحل فى المستعمرات الطليانية والفرنسية والبريطانية منخفضة وسهلة ، وكلما تقدمنا من الشرق إلى الغرب أخذت الأرض فى الارتفاع . وفى أريترة (على مسافة تتراوح بين ٥٠ و ٨٠ كيلو متراً من الساحل تتصل هذه الأرض بالقسم الشمالى من الخط الأول فتصبح شامخة وعرة ، مكسوة بالغابات والأحراج

وفى صحراء دناكل بالقرب من (عصب) تكون أرضاً متموجة قليلة المياه ، وذات شعاب ووديان ؛ وعلى مسافة (٢٠٠ إلى ٣٠٠) كيلو متر من الساحل تصل إلى حدها الأعلى فى الخط الأول حيث المضايق الوعرة ؛ ويتفاوت ارتفاع الذرى فى هذا الخط من (٢٤٠٠ إلى ٤٣٠٠) متر ، ويبلغ الارتفاع فى ذروة (أبونا يوسف) (٤٢٠٠) متر ، وفى ذروة (كالو) يبلغ ٤٣٠٠ متر ، وتقع قلعة (مجدلة) على هذا الخط

وفى الجنوب يبدأ السهل من ساحل البحر المحيط الهندى ويأخذ فى الارتفاع إلى الغرب ، وعلى مسافة ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلو متر من الساحل يبلغ من الارتفاع والوعورة مبلغاً يكون هضاب « أوجادن » و « بوران »

وتتفاوت الارتفاعات فى هذا القسم من (٣٠٠ إلى ١٠٠٠) متر . وبالقرب من خليج عدن يبلغ الارتفاع فى السلسلة التى تؤلف الخط الأول ٢٠٠٠ متر فى جنوبى « بربرة »

وفى صحراء « الغالا » نجد الأرض متموجة ، والروابى قليلة الميل ، وهى ترتفع إلى جبال هرر بسهولة وتلتق بالخط الثانى ، وتتفاوت المرتفعات فى مركز هذا الخط من (١٠٠٠) إلى (١٥٠٠) متر ، وفيها هضاب شامخة بانحدارات شديدة كأنها جدران يتفاوت ارتفاعها من (٢٠٠٠ إلى ٣٥٠٠) متر وصخورها بركانية

أما الجبال الداخلية التى تؤلف معاقل الحبشة ، فالهضاب فيها ترتفع (٢٠٠٠) متر كأنها قلعة أحاطت بها الجبال من الشمال والشرق والجنوب ، ومع ذلك لا يمكن تسلقها من جهة الغرب حيث يجرى النيل الأزرق إلا بصعوبة

وفى منطقة « غوجام » يبلغ الارتفاع فى رأس « دانجان » (٤٦٢٠) متراً ، وهو أعلى ذروة فى بلاد الحبشة

(يتبع) طه الهاشمى

من الأشواك المترجمة

شجرتى الضـــالة

« مهداة إلى الأستاذ مصطفى صادق الرافعى »

للأستاذ خليل هنـداوى

مقـــدمة :

« لى شجرة ضخمة الجذع وارفة الغصن ؛ أحج إليها كل يوم لأتبوأ جذعها الأبتر مقعدا ، حيث لا يطرقنى إلا الطيور النازحة والنسائم الرائحة . شأن هذه الشجرة عجيب ، قد غبرت عليها عصور ، وهى ثابتة تبدل قشوراً بقشور ، لا يمسها نصب ولا فتور . والسالك فى ذلك الطريق الوعر ينجذب بظلها ، فيأوى إليها مخففاً عن نفسه بعض ماناء بها من مشقة الطريق ؛ فيرى الظل والراحة والنعيم ؛ فيتمنى لو أقام أيامه تحت ظلها ؛ أو لو أن حياته القلقة تحتوى على مثل هذا الظل الذى تتحط عليه الشمس من كل مكان لتحرقه وما هو بمحترق ؛ ولكن الانسان ما أشقاه ! ولوع بالسير ولكن إلى أين ؟

هذه الشجرة آثرتها لى مثوى فى أيام صبى ، لأنها تقصينى عن الناس وتدنينى من نفسى ؛ وما آثرته لجسدى متنقلا كيف لا أوثره له يوم تندو حقيقته ظلا ! . . . . »

« خليل »

السالك اليك وعر يا شجرتى !
وهأنذا قد سلكته
الطريق محفوف بالشوك
وهأنذا قد طرقته . . .

* * *

يقولون عنك « ضالة » لأنك آثرت هذه العزلة العميقة ، وهذه الزاوية السحيقة
وينظرون اليك ساخرين لأنك تركتهم وملت إلى الانفراد .
كم يخشى الناس هؤلاء المنزلين !
يرونهم فيقولون : ربنا لا تجعلنا من الضالين

* * *

أتضنين على من سلك الوعر اليك . . .
ضالاً عن قرنائه
بهذا الفيء الذى جاهدت جذورك وأوراقك وروحك فى حياكته
ولو أردت الظل لنفسك لما تعبت فى مده
والظل الخفيف يغنيك . . .
ولكنك لست كالانسان الذى يقضى العمر كله فى حياكة ظل لنفسه ، ويمضى غير منتهٍ من حياكة ذلك الظل
أما ظلالك أنت فقد حُكتيه !
وهذا الظل الواسع الممدود على الأرض لمن تحوكينه ؟
أليس — للضالين — أيتها الشجرة الضالة ؟
إلـهى اجعلنا من الضالين !

* * *

أتضنين على من تحمل النصب من أجلك — وقد تكونين أنتِ فى غنى عنه —
أتضنين عليه باستواء قصير على منكبك العالى
ليشركك فى تأملك العميق
وإن ضلالك ليشرك ضلالى
وظلك الممدود ينادى خيالى
فلا تتاقلى من استوائى عليك ، فاننى لن أشوش عليك تأملاتك
ولن تمطل طيورك أهازيجها من أجلى
افتحى قلبك لى فانى لاجىء اليك
وأوميئى بأوراقك فانى ضال مثلك

* * *

أأنت تلك المحجة التى يسعى اليها الانسان غير حافل بوعورة الطريق ؟
أأنت تلك المحجة التى تناهضها الصخور والوعور والأشواك لتواريها عن العيون ؟
وكم يكلف الوصول إلى هذه المحجة ؟
ارتفعى كثيراً واسمى كثيراً ، حتى تبدو للضالين ذروتك ،
واصمدى بأغصانك إلى السماء
وليجذبها شوقك دائماً إلى السماء

* * *

هل رأيت المحجة بعين الشوق ، فأنبأت رفيقاتك فسخرن منك ، لأنهن لا يرين إلا بعيونهن ، فاعتزلتهن ، وانطلقت وحدك وراء المحجة . . .

نورها يسطع للعيون براقاً ، فما أدناه للعين وما أبعد تناوله !

اغمضي عينيك فقد جمدت ، وسائلي قدمك فقد ارتعشت

والمحجة لا تزال بعيدة كالنور الذي ترنو إليه العين وتقصر عنه اليد

* * *

ألا ان المحجة في عالم أنفسنا قد سطعت ، فمدي يدك إلى قلبك تلمسيها ، وانظري بعينك في نفسك تبصريها

ألا ان المحجة في أنفسنا . . .

* * *

ستضربنا العاصفة ثم تذرونا الرياح رماداً قبل أن ندرك هذه المحجة

أليست هي في أنفسنا ؟ ولكن الابعاد الشاسعة بين نجوم الفضاء . . . هذه الأبعاد التي ترتجف لها مقاييسنا حين نعدها بينها ، هذه الأبعاد هي أقرب تناولاً من الأبعاد الشاسعة المنتصبة بيننا وبين أنفسنا

أين أنت أيهذا الذي بلغ نفسه !

بلى ! ستضرب منا العاصفة ، وسنحول رماداً قبل أن تنتهي مراحلنا إلى أنفسنا

* * *

كلانا ضال وراء نفسه

كلانا يرهب طريقه الناس ، لأن طريقنا طريق الوحدة ، وطريق الوحدة طريق الضلال

كلانا عشى وإن لم يكن في نظر المقاييس شيئاً ، لأن مشينا لا تدركه مقاييس

* * *

ضميني اليك يا شجرتي الضالة فقد أضواني السير ولفحت وجهي الشمس

ضميني اليك أقرن تأملاتي بتأملاتك ، فنحن في نظر الحياة شريكان يتمم بعضنا بعضاً

تضيئنا شمس واحدة ، وتنير طريقنا مصابيح واحدة ، وتمانقنا غاية واحدة

مشهدك واحد في حياتك كلها لا يبرح ناظرك ، ولك منه كل يوم وجه للتأمل جديد

ومشاهدي كثيرة واعتباري منها قليل

* * *

وواصلي أيتها الطيور أغانيك فوق رأسي فما أنا بالمروع لك !

وغذيني أيتها الشجرة الضالة بفيئك الواسع

وغداً أغذي جذورك بلحمي ودمي

ألست ظمأى إلى دم انسان !

محجتنا واحدة وصداقتنا عميقة فوق ظهر الأرض وتحت بطنها

ستمتصني جذورك عصيراً ، وستحملني سراً عميقاً إلى فروعك السامية

إننا لن نقف !

لأن الشمس تبارك أشواقنا وتنير أرواحنا لأننا أحسنا الاستحالة

وبغير هذه الاستحالة كيف يريدون أن تحوك جذورك هذا الظل الوارف الذي يأوي اليه الضالون !

وكيف يريدون أن تعيش هذه الزهور المتفتحة بدون رماد !

ألسنا في حالي الفناء والوجود قافلة من قوافل الحياة السائرة منذ الأبد حتى الأبد ؟

ألست في صدرك حياً أيتها الشجرة ؟

ألست أنت حية في صدر النار التي ستلتهمك ؟

ونحن ألسنا بعد شيئاً ينبض في قلب الحياة دماً ولحماً ، وماء ونباتاً ، وناراً ورماداً ؟

* * *

ربي أحلني في قلب هذه الشجرة ثمرة يباركها قلب جائع ، ثم اجعلنا وقوداً لنار يهتدي بها الضالون ؟

« كفريا » خليل هنداوي

من نوادر المخطوطات

أثر أدبي فـــذ!

اختراع الخراع لصلاح الدين الصفدي

للأستاذ علي الطنطاوي

تتمـــة

قوله من الطلوع : نعوذ بالله منه ، لأنه مرض يلغمي يحدث في الشعر لمداومة أكل الزنجبيل والأشياء الحارة : كالبطيخ والأسماك ، وغيرها . قال ابن الدمينة يرثي شخصاً :

فسّر لي عابر مناماً   فصّل في قوله وأجملْ
وقال لابدّ من طلوع   فكان ذاك الطلوع دمّلْ

ومن قال إن الطلوع ضد النزول واستشهد بقول أبي ذؤيب الهذلي في الهجاء :

أيسعدني يا طلعة البدر طالع   ومن شقوتي خطّ بخديك نازل

فقد أخطأ ووهم والصحيح الأول[1]

إلى بترك : لفظ مركب من الأعداد في التركي ، كقولك في العربي واحد اثنان ، فبير واحد وإكي اثنان . ومجموع هذا العدد سبعة ونصف ، لأن إكي ناقصة الياء ، ولولا ذلك لكان المجموع ثمانية ، وألفاظ الأتراك لا شاهد عليها من العربية . فلهذا أضربنا عن الاستشهاد لذلك

في الليل : الليل معروف ، وهو من الزوال إلى أذان العصر في العرف ، وفي اللغة من طلوع الشمس إلى غروبها ، كما قال دريد بن الصمّة في الغزل :

أمســـتوفي قليّوبَ   إلى كم هكذا تكذب
من الصبح إلى الظهر   إلى العصر إلى المغرب[2]

(١) ابن الدمينة من شعراء الحماسة ، والبيتان من شعر الحكيم شمس الدين بن دانيال ، وأبو ذؤيب شاعر معروف ، والبيت لشمس الدين محمد بن العفيف ...

(٢) دريد بن الصمة من شـــعراء الجاهلية وفرسانهم ، والشعر لشرف الدين الأبوصيري ...

وقليوب بليدة صغيرة على شاطئ الفرات من أعمال عدن ، وقيل هي إقريطش (كريد) باليمن

قوله : ظلام النهار الخ . . الخ . .

القول في الإعراب :

لو : حرف يجر الاسم ويكسر الخبر على ما ذكره الرّماني في شرح طيبي الشفا . والكسائي في رموز الكنوز[1] هذا مذهب الكوفيين ؛ والصحيح أنها من الأفعال الناقصة التي لا عمل لها ، إنما قلنا إنها فعل ناقص لأنها كانت في الأصل لوى فنقصت حرفاً ، وإنما قلنا إنها لا عمل لها لأنها متى نقصت ضعفت عن العمل ، وهذا الذي ذهب إليه إقليدس وارشميدس في مخارج الحروف وبرهناه مستشهدين على ذلك بقول الشماخ في رائيته :

أرسل فرعاً ولوى هاجري   صدغاً فأعيا بهما واصفه[2]

وقد سقط من الرسالة أوراق لا أدري كم هي ، ثم يبدأ الموجود منها بقوله)

قال الشارح رحمه الله تعالى :

ما في كلام العرب اسم معتل الطرف بالألف المقصورة غير كان ، وهذا مع أن دخلت فيها الحركات الثلاث : الجرّ والخفض والكسر فأجريت مجرى الصحيح ، وليس بعجيب . قال أرسطو المعري :

وربما صحت الأجسام بالعلل[3]

ومن قال : هذا من شعر أبي مرّة الحلاوي ابن المتنبي فهذا قول من لا يدري علم الرمل ماهو . .

وبعد هذا فما أدري بماذا حكم عليها ؟ هل هي صلة وتتمة لابن خلكان وزير بغداد الحنبلي[4] ، أو هي اسم قائم برأسه ، استغفر الله : قائم برجليه . فان قلنا إنه صلة من ابن خلكان فلا يخلو إما أن يكون العائد على الصلة من باب أسماء الأفعال أو من باب مالا

(١) الشفا لابن سينا في الحكمة ، ورموز الكنوز لسيف الدين الآمدي ، والكسائي شيخ نحاة الكوفة ، والرماني من النحاة

(٢) إقليدس وأرشميدس من فلاسفة يونان ، والشماخ معروف ، والشعر للمتأخرين ...

(٣) أرسطو معروف ، والشطر للمتنبي

(٤) ابن خلكان هو قاضي القضاة الشافعي المؤرخ المعروف

ينصرف ، فان كان الأول من القسمين لزم الخ . . أ كل : فعل مضارع لأن فى أوّله أحد الزوائد الخمسة وهو الهمزة ، إنما قلنا زيادتها لأنه لا يصح تجريدها ، تقول كلّ شىء . قال لبيد :

كل خطيب مالم تكونوا غضابا يا أهيل الحمى علىّ يسير

وقد جاء فعلاً ماضياً فى قول الخنساء الأخيلية ترثى زوجها :

أ كلُ الأمر إذا ماحل بى للذى قدّره أن يقعا [1]

الشعير : الألف واللام أصلية ، وهو نكرة إن قلنا بأنها أداة التعريف ، ومعرفة إن قلنا بأصليتها ، ذكر ذلك المبرد فى كتاب ديسقوريدوس [2] فى باب النعت ، وهو هاهنا مرفوع على الحال ؛ وللنحاة هاهنا بحث فى الماضى والمستقبل والحال بينهم وبين الحكماء ، لأن النحاة أنكروا زمن الحال ، وقالوا ثبوته يؤدى إلى القول بالجوهر الفرد وهو ممنوع ، وقول الحكماء أقرب إلى الصحة [3] قال عبد الله بن عجلان النهدى :

ولو عاين النظام جوهر ثغرها لما شك فيه أنه الجوهر الفرد [4]

وما الذى يمنع الخ . . .

فى : اسم لأنه يحسن دخول حرف الجرّ عليه : تقول انتقل من الشمس إلى فىء الظلّ ، ودخول الألف واللام : تقول هذه الدراهم مبلغ ألفى درهم ، والاضافة تقول : أعجبنى حسن فيك ، والتنوين أيضاً تقول : هذا المال فىءٌ للمسلمين ، وعلى الجملة فا للنحاة فى الأسماء كلمة يدخلها سائر خواص الاسم إلا (فى) وهى ممنوعة من الصرف لأنه اجتمع فيها من العلل أكثر مما اجتمع فى أذربيجان ، وذلك أن الفاء بعشرة والياء بثمانين على ما ذكره الزجاج فى الجمل ، فصارت تسعين ، وعلل الصرف المانعة تسعة !

قال شبرمة بن الطفيل فى وصف الزرافة :

ربّ برغوث ليلة بت منه وفؤادى فى قبضة التسعين

والقبض هو المنع من الصرف [5] . فلهذا قال النحاة إن (فى) لا تنصرف ، وهذه النكتة غريبة جداً لم أر أحداً ذكرها

(١) لبيد معروف ، والشعر لبعض المتأخرين ، والخنساء أخت صخر وليلى الأخيلية صاحبة توبة

(٢) للمبرد من أئمة العربية ، وكتاب ديستوريدوس فى معرفة الأدوية النباتية المفردة

(٣) الأمر على العكس فالنحاة أثبتوه والحكماء أنكروه

(٤) ابن عجلان من شعراء العرب والبيت لابن سناء الملك

(٥) شبرمة من شعراء العرب والبيت للصاحب جمال الدين بن مطروح

من النحاة غير الاصطخرى فى كتاب الحيات له [1] ، وهو معرب بالنصب على أنه صفة للفاعل وهو جارية وإن قلنا الخ . .

البرد : منصوب بالألف واللام التى فى آخره على أنه خبر متقدم تأخر عنه المبتدأ فحذف ، وهى مسألة مشهورة فى باب الاستثناء ، ونصّ عليها سيبويه خلافاً لابن الحاجب لما بحث معه فى المسألة الزنبورية بين يدى الوليد بن عبد الملك ، وتقدم الخبر دائر فى الكلام على ألسنة العرب ، قال كثير عزة فى محبوبته بثينة :

والله ما من خبر سرّنى إلا وذكراك له مبتـدا

فقدم الخبر وأخر المبتدا . . . [2]

(الى أن قال) :

الفول على المعنى

قبل الخوض فى الكلام على المعنى نقدم مقدمة تشتمل على ما يتعلق بهذين البيتين من التاريخ منقولاً من المجسطى للاحنف ابن قيس فى تاريخ بغداد ؛ فنقول : بكتوت هذه كانت بعض حظايا النعمان بن المنذر ، شراها من نور الدين الشهيد صاحب القيروان ، وكانت قبل لعنان بنت النابغة ابن أبى سلمى زوج سيف الدولة ابن بويه السلجوقى أول ملوك السامانية الذين أخذوا خراسان من الفاطميين [3]

أول أملاكهم السفّاح . . .

والسفاح هو أخو العاضد [4]

وكانت بكتوت الخ . . وما أحسن قول بعض ملوك الأندلس أظنه ابن سكرة الهاشمى :

أيا ربة القرط التى حسنت هتكى على أىّ حال كان لابدّ لى منك

(١) الامام الاصطخرى من كبار الشافعية وكتاب الحيات لاسحاق ابن عمران الاسرائيلى . .

(٢) سيبويه معروف توفى سنة ١٨٠ وابن الحاجب متأخر معروف والبحث فى المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائى عند يحيى البرمكى ، وكثير معروف ومحبوبته عزة ، والبيت لسراج الوراق ...

(٣) المجسطى لليونان ، والأحنف تابعى كبير معروف ، وتاريخ بغداد للخطيب أبى بكر ، والنعمان ملك الحيرة ، ونور الدين صاحب الشام معروف ، وعنان جارية الناطفى ، وابن أبى سلمى هو زهير ، وسيف الدولة بن حمدان ، وبنو بويه ملوك الديلم ، وبنو سلجوق ملوك الترك ، والسامانية ملوك خراسان ، والفاطميون ملوك مصر والمغرب

(٤) السفاح أخو المنصور أول خلفاء بنى العباس ، والعاضد آخر الفاطميين أصحاب مصر

فاما بذلٍّ وهو أليق بالهوى   واما بعزٍّ وهو أليق بالملك (١)

وقد أخطأ من نسبهما إلى ابن الأحمر ، فقد أوردها صاحب الرقص والمطرب (٢) وهو مصنف موجود قبل ابن الاحمر بألف وخمسمائة سنة . وهذا المعنى من البيتين واضح اتضاح الفلق نصف الليل فى ثمانى وعشرين من الشهر ، وضياء الباطل إذا جاءه الحق ، إن الباطل كان زهوقاً ، ولله در نجم الدين الكاسى ديران حيث قال يخاطب الشريف الرضى :

وليس يصح فى الافهام شىء   إذا احتاج النهار الى دليل (٣)

* * *

هذا مثال من هذه الرسالة العجيبة ، نقف عنده ، لا نجاوزه الى القول فى البديع والعروض والقافية لأن المقال قد طال ، ونخشى أن يملّ القراء الكرام ؟

على الطنطاوى

(١) ابن سكرة شاعر بغدادى ظريف ، والشعر للملك تميم بن المعز
(٢) لأبى سعيد المغربى متأخر
(٣) نجم الدين متأخر عالم بالمعقولات والشريف معروف والبيت للمتنبى

من صور العباقرة

هانيبـــال

بقلم حسين مؤنس

لنكن على حذر حين نلتمس اخبار هانيبال ، فهذا رجل وكّل أمره لأنصاف خصومه ، وترك تراثه فى رعاية أشد الناس عداوة له ، وتولى تقديمه إلى الناس أحفل الناس ببغضه ؛ فهو مظلوم من بوليبيوس ، مغضوب عليه من تيت ليف ، مهضوم الحق عند الكثرة الغالبة من رواة عصره وقضاة زمانه ، ولكنه برغم هذا كله بارز لا تحتاج عظمته إلى البينة ، ظاهر لا يعوز عبقريته البرهان ؛ وان الشهادة له لتبدر من الخصم حين يتخونه الحذر ، وإن فضله على أعدائه لتقوم عليه البينات والحقائق وإن أعوزته الألفاظ والعبارات ؛ وهـذا بوليبيوس يتحدث عن آل سيبيو فيطيل الحديث ، ويكون قصارى ما يتأنق فيه من دلائل نبوغهم أنهم أخذوا فنون الحرب عن هانيبال ، وأن أشهرهم المعروف بالأفريقى أخذ عنه وتفطن لأساليبه وحاربه بها فى زاما . ولعل سبب هذه الخصومة هو أن الرجل كان شرقياً ، لا هو رومانى ولا إغريقى ، وإنما هو فينيقى عريق ، وكانت الخصومة مشبوبة فى ذلك العصر بين الشرق والغرب ، وكان الزمان قد استدار وصار اليوم للغرب ، ورفرفت راياته وخفقت بنوده ، حملها الاسكندر وخلفاؤه زماناً ثم تركوها للرومان ، وكان الفينيقيون قد ضاقت بهم الأرض فى المشرق فالتمسوا الرزق فى المغرب ، وأقاموا المراكز والمدن على شواطئ افريقية وأسبانيا وصقلية وجنوبى إيطاليا وفرنسا ، فلما نهض الرومان وجدوا الفينيقيين فى طريقهم أينما ساروا ، وكان مركز قيادتهم قد انتقل من صور فى المشرق إلى قرطاجنة فى المغرب ، ومن هنا كانت الخصومة بين روما وقرطاجنة ، ومن هنا كان تعصب مؤرخى الرومان على هانيبال ، ومن هنا كانت ضيعة قضيته عند القضاة ؛ فلنلتمس أخباره فى حذر .. ولنحاول أن نشهده عن كثب ، وأن نفضى اليه ونصاحبه حياته الحافلة بالأحداث ، الخصبة بالوقائع والبيانات

* * *

ها هو ذا فى مجلسه على شاطئ الرون ينظر إلى جيشه الكبير يعبر النهر صفاً طويلاً وقد طال به الجلوس وطال به الانصراف إلى هذا المشهد حتى لا يدرى أهذا مطلع النهار أم مقبل الليل ؛ وكيف له التمييز وهذه أيام ثلاثة بلياليها تقضت وهو فى مجلسه هذا شاخصاً إلى أجناده وفرسانه وقبيلته وهى تعبر النهر على مهل ؟ . . وأين له الراحة أو الانصراف عن التفكير وهو يعلم أن الرومان قد علموا بأمره وأنهم ساعون فى أثره مرسلون قوادهم خفافاً للحاق به والقضاء عليه ؟ . وهذه عيونه تنبئه بأن مارسلوس ماض فى الطريق اليه ، وإنه ليخشى ذلك كثيراً ، إذ كيف تكون العاقبة لو لحق به الرومان وهو يعبر النهر ؟ . إذاً لقضوا عليه فى يسر وهينة . ثم هذه عيونه تنهى اليه أن آل سيبيو يثيرون عليه الناقو ويقيمون عليه قيامة الشعب . فاذا متع الضحى فقد أقبل عليه رئيس فرسانه ينبئه بأن الجيش قد فرغ من العبور وأنه لم تبق فى الضفة الأخرى إلا شراذم من المشاة وأشتات من المؤن التى لا يؤذى ضياعها . هنالك ينهض الرجل الذى أجهده الأعياء وثقلت عليه قلة النوم ، ويأوى إلى فسطاطه . . . ويطلب النوم فيسرع اليه النعاس .. ولكنه على رغم ذلك مضطرب ما يزال .. وإن الذكريات لتسعى اليه فى الحلم فتروعه

هذا هو أبوه هملكار يخطو اليه رهيباً جليلا . . يذكره بعهده الذى قطعه على نفسه وهو ابن سنوات تسع ، وهذا صوت

الصبي الصغير يتردد على سمعه واضحاً بيناً ، إنه يقسم أن يكون عدواً لدوداً لروما إلى الأبد

وها هو ذا يرى نفسه صبياً وفتى يافعاً ، ثم رجلا في مداخل الرجولة ، إنه ليمضي الوقت في قفار اسبانيا ووهادها ، لم ينصرف إلى شيء مما ينصرف إليه الشبان ، ولم يترك لنفسه فرصة للراحة أو الدعة ، وإنما اشتد على نفسه عشرين ســنة كاملة حتى أوفى على الثلاثين ... حتى إذا اكتمل الأهبة ، فقد اتخذ سبيله إلى ايطاليا ، وكان الرومان قد أخذوا عليه سبيل البحر بعد أن قضوا على أسطول قرطاجنة ، ولم يبق له إلا أن يمضي فيخترق هذه المجاهل الجافة حتى يصل إلى سهول ايطاليا ؛ ولقد فصل عن قرطاجنة الجديدة وهو في تسعين ألفا فتهاوى منهم الآلاف في الطريق تعباً واجهاداً . . . ولولا بقية من أمل معقودة بلواء فرسان نوميديا ، لأدركه اليأس وكر راجعاً إلى بلده ...

هكذا كانت حياته : واقع أشبه بالحلم ، وحلم أشبه بالواقع ! إنه ينام ليحلم بحرب روما ، ويقوم ليمضي لخراب روما . ومضى أمامهم فمضوا من خلفه ، وهم أشد مايكونون رهبة من هذا الذي يمضي بهم اليه ؛ إنهم ليشعرون الرهبة من هذه الجبال السامقة التي تطل عليهم وتنذرهم بالموت .. وأين لأبدانهم المتعبة أن تتوقل هذه النجاد الوعرة ، وأن تنحدر على هذه الصخور القاسية ؟ وأين لجسومهم العزم الذي يخوضون به هذه الركام الثلوجية التي تبهر عيونهم على قنن الجبال ؟.. ولـكنهم لايملكون لأمر قائدهم دفعاً ... بل هو لا يملك لأمر نفسه دفعاً . وإنه ليمضي ليوفي عهـد أبيه لا يكاد يفطن إلى شيء مما حوله . فها هو ذا في مقدمة الجيوش يصّعد في اعياء ويسير في عينة ، والجنود يتساقطون من حوله اجهادا ، والخيل تنبت من تحته نافقة ، وهو في طريقه لا ينبس .. حتى ينتهوا إلى السهول فينحدروا اليها سراعاً

هنا ترجع بنا الذاكرة إلى معبد « بعل » في قرطاجنة . . . تلك هي القديسة تضطرب تحت يد هملكار الذي يقدمها إلى الآلهة طاعة ونسكا .. وتلك هي روما تضطرب تحت يد ابنه هانيبال الذي يقدمها إلى أبيه قرباناً زكياً . . وهؤلاء هم الرسل مقبلين على مدينة التلال السبعة يرجفون بالأخبار وزعزعون العزمات من رهبة الوعيد ، ويضطرب الأمر بين الرومان اضطرابا شديدا ، ويقـذفون بجيوشهم إلى هانيبال في شجاعة واقدام حقيقين بالاعجاب .. والقرطاجني متربص يفني الجيوش فناء ، ويبتلع القادة ابتلاعاً . وهـذه تربيا تشهد يوم أجبر هانيبال العدو على النزول إلى الميدان في البكرة القارسة والشمس لا تزال في خدرها ، وكيف انسابت الكمائن من فرسان نوميديا على جوانب الجيش الروماني فأكلته أكلا ... وهذه ترازمين تذكر يومها العبوس من شتاء سنة ٢١٧ .. هذا هانيبال يخبيء جنوده في باطن الجبل المطل على أمواه البحيرة ، ويترك منهم نفرا يناوش القنصل فلامينيوس ، ويتقدم الروم ثم يندفعون اندفاعاً شديدا .. فاذا انتهوا إلى ساحل البحيرة فقد ألقوا أنفسهم في وابل من نبال النال ، ونار من فرسان النوميديين ، وإذا العدو يسد عليه طريق الرجوع ، وإذا الماء يعين عليهم الخصم .. وإذا هزيمة ساحقة لم ينج منها إلا نفر مضى إلى روما يزلزل أهلها بالمصيبة النازلة ، والفاجعة التي لم تذر .. وهؤلاء أهل المدينة مروعين ، قد انتابهم هلع شديد .. إذ ترامى إلى أسماعهم أن الرجل قاصد اليهم .. ثم ها هو ذا على أميال من روما .. ليس من الموت بد ! ولـكن هانيبال لايتقدم ، إنما يطوي عن المدينة ويتجه إلى الجنوب

ترى ماذا صد هانيبال عن روما ؟ كانت الحصون واهنة والجيوش منكسرة ولا يكلف الاستيلاء على المدينة إلا أقل الجهد .. ولـكن هانيبال كان يرجو شيئاً آخر .. كان لا يريد أن يقتل الفريسة دفعة واحدة وإنما يقطع أعضاءها عضواً عضواً ، ويمزق أشلاءها شلواً شلواً : ثم يدعها تموت ؛ كان يرجو أن يمزق جسد روما جزءاً جزءاً ويبتر مستعمراتها عنها على مهل ! لم يمزق الرومان أملاك قرطاجنة واحدة فواحـدة لـكي تموت على مهل . هكذا كان يريد أن ينفـذ انتقامه الشديد — ولهذا مضى يثير أنصار روما ويؤلب عليها أحلافها .. إنه ليعلن أنه أقبل ليحارب الرومان لا الايطاليين ، وإنه ليطلق الأسرى الايطاليين دون الرومان ، وإنه ليكسب من هذا كسباً عظيما .. هـذه « كبوا » تسارع اليه بقواتها وأحلافها .. وهذه المدن الأغريقية في « تارنتم » تعلن ولاءها ... وهؤلاء هم الرومان يشتد بهم الخوف فيختارون «فابيوس» لهم قنصلاً .. فيختط لمحاربة هانيبال خطة صارت علماً عليه في التاريخ : هي أن يجنب نفسه وجيوشه لقاء العدو في موقعة حاسمة .. بل يناوشه ويتخطف جنوده ، ويقفل طريق الامداد من الشمال .. ويمضي على ذلك حتى يضعف أمره ويفنى جنوده .. ولـكن الرومان لا يطيقون صبراً .. إن هانيبال ليفسد عليهم جيرانهم وأتباعهم .. ويتلف مزارعهم ويهدم حصونهم

ويمضى من بلد الى بلد ، تاركا جنوده يأتون من الأمر ما يحبون وينصبون من العدو ما تصل إليــه أيديهم ، حتى يضيق ذرع اللاتين فيعزلوا فابيوس .ويولوا قنصلا آخر يمضى مسرعاً حتى يلتى هانيبال فى « كانى » على ساحل الأدرياتيك ، وهناك تظهر قدرة الرجــل فى الحرب فى أجل آياتها . . . إنه ليصف جنوده صفوفاً طويلة تــكاد تخفى جناحى الفرسان . . وإنه ليلقى العدو وينثنى قلب جيشه حتى يصير الصف نصف دائرة تحتوى الرومان ثم يقبل الفرسان فيقضون على العدو قضاء مبرماً

تدع هانيبال فى سيره إلى جنوب شبه الجزيرة ونخف إلى روما لنشهد اضطراب الشيوخ وهياج الشعب واشــتداد الأمر ولنشهد مشهداً من أصــدق مشاهد الرجولة القوية والبطولة الخالدة .. إن « آل سيبيو » لا يخفت لهم صوت ولا يضعف لهم أمل . . لقد مات الاخوان فى وعور اسبانيا ، وهما فى طريقهما إلى بلادهما بعد أن استوليا على « قرطاجنة الصــغيرة » قاعدة هانيبال فى ايبريا ، وشطرا شــبه الجزيرة كلها عن القرطاجنى حتى حصروه حصاراً شديداً .. وهاهوذا أخوه « هازدروبال » أخو هانيبال يجمع له ما تيسر من فلول المرتزقة ويمضى إلى إيطاليا فيلقاه الرومان ويفتكون به ويقتلونه . . ثم يحملون رأســه إلى أخيه ويلقون به بين يديه

ثم ينهض سيبيو الصغير ويقود حملة من أعنف حملات التاريخ ؛ فهذا فتى فى الخامسة والعشرين ولــكنه رومانى عزيز . . إنه ليقطع شــبه الجزيرة على عجل . . . ثم يركب البحر الى صقلية ثم يخف الى أفريقية وينزل على مقربة من قرطاجنة ثم يبدأ يصنع فى أفريقية ما يصنعه هانيبال فى ايطاليا . !

* * *

هنالك يتأمل هانيبال رأس أخيه الشهيد ويستمع إلى أخبار سيبيو فتأكل الحسرة قلبه ويفزع على مصير قرطاجنة ، ويسرع لنجدتها . . ولا تــكاد قدمه تمس ثرى افريقية . . حتى تسرع نحو سيبيو . . فيمضى هذا أمامه . . ولم يكن أخطر على الجيش الرومانى من هــذا المضى الذى يباعد ما بينه وبين الشاطئ . . ولــكن .. انظر إنه ليثير النوميديين على قرطاجنة ، إنه ليطويهم تحت رايته حلفاءَ أقوياءَ . . ثم يثبت لهانيبال عنــد « زاما » ويرسل فرسانه فى طرفى مشاته . . ويصف الجنود صفاً طويلاً ، ويباعد بين الجندى والجندى حتى ليدع بينهما طريقاً رحباً . . ثم يقبل هانيبال .. ويدور فرسانه فاذا هم وجهاً لوجه أمام فرسان سيبيو.. فيفسحون لهم الطريق ، فيندفع هؤلاء إلى ماوراء الجيش وهناك ينتظرون . . وتشتد المركة ، ويثار النقع ، حتى إذا بلغ الأعياء من جيش قرطاجنة أقبــل فرسان الرومان فقضوا عليهم قضاء أخيراً . .

أليست هذه أساليب هانيبال ؟ أليست تلك خطته فى كانى ؟ وإنها لبينة واضحة على عبقريته ، وآية باقية على ما خلف للعالم من تراث

* * *

ويخف هانيبال إلى قرطاجنة ، وييأس بأسوارها أن تقفل ويسودها الهرج والاضطراب ، ويجتمع مجلسها ويتعاقب الخطباء منادين بالحرب والثأر . . ولــكن الرجل لا يطيق . . إنه يعرف خصمه جيداً فينهض ويسكت الخطيب . . ويعتذر لمواطنيه عن هذه الجفوة التى لا محيص له عنها بعد ست وثلاثين ســنة فى ميادين الحروب .. ثم يوافق على شروط الصلح التى قدمها سيبيو

ثم يبدأ صراع هو أشــبه بصراع المائة يوم بين نابليون وخصومه . . ولــكنه يطول سبع سنوات ، يصر الشيوخ فى السناتو على القضاء على الرجل .. ويطلبونه ويجدون فى طلبه . . وهو لا يفقد الأمل فى الغلبة عليهم والانتقام منهم . . لقد فشل فى أن يثير عليهم الغرب ، فلم لا يقيم عليهم قيامة الشرق ؟ . . ها هو ذا يخف إلى بلده « صور » ، فاذا هى ترتعد فرقاً من روما وجيوشها فيفصل عنها إلى « إنطاكية » حيث يستقبله ملكها انتيوكس ، إذ كان يعد حملته على روما . . ويدبر معه الأمر . . ويرسم معه مشروعاً خطيراً .. ولا يكادان يشرعان فى العمل حتى يفاجئهما الرومان فيقضوا على أنتيوكس فى داره فيفر إلى بيثنيا حتى يلقاه ملكها مرحباً .. ويأويه ويكرمه

* * *

ولــكن الرومان لا يسكتون عنه . . ويطلبونه ويجدون فى طلبــه . . وإنه لجالس ذات يوم فى ملجئه . . إذ أحس اضطراباً وسمع وقع أقدام جنود يقتربون منه . . فنادى بخادمه . . وأمر بالسم فأتى به إليه . . وقال وهو يدنى الكأس من شــفتيه : « لكى تستريح روما إذا كان لا يرضيها أن تترك شيخاً فى السنين يموت على مهل »

حسين مؤنس

١٣ – شاعرنا العالمي
أبو العتاهية
للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

وأما عتابه فنذكر منه عتابه لصالح الشهرزوري ، وكان أبو العتاهية صديقاً له ، وآنس الناس به ، فسأله أن يكلم الفضل ابن يحيى البرمكي في حاجة له ، فقال له صالح : لست أكلمه في أشباه هذا ، ولكن حملني ما شئت في مالي ، فانصرف عنه أبو العتاهية ، وأقام أياماً لا يأتيه ، ثم كتب اليه :

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل ... إتيانه فتلجّ في هجرانه
إن الصديق يلجّ في غشيانه ... لصديقه فيملّ من غشيانه
حتى تراه بعد طول مسرّة ... بمكانه متبرّماً بمكانه
وأقل ما يلقى الفتى ثقلاً على ... إخوانه ما كفّ عن اخوانه
وإذا توانى عن صيانة نفسه ... رجلٌ تنقص واستخف بشانه

فلما قرأ الأبيات قال سبحان الله ! أتهجرني لمنعي إياك شيئاً تعلم أني ما ابتذلت نفسي له قط ، وتنسى مودتي وأخوتي ، ومن دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تعذرني ؟ فكتب اليه أبو العتاهية :

أهل التخلق لو يدوم تخلّق ... لسكنتُ ظلَّ جناح من يتخلق
ما الناس في الامساك إلا واحد ... فبأيهم إن حصّلوا أتعلق
هذا زمان قد تعود أهله ... تيه الملوك وفعل من يتصدق

أي بطلب الصدقة كما قال في بيت آخر :

هذا زمان ألحّ الناس فيه على ... تيه الملوك وأخلاق المساكين

فلما أصبح صالح غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدثه بالحديث ، فقال له لا والله ما على الأرض أبغض إلى من اسداء عارفة إلى أبي العتاهية ، لأنه ليس ممن يظهر عليه أثر صنيعة ، وقد قضيت حاجته لك ، فرجع وأرسل إلى أبي العتاهية بقضاء حاجته ، فقال يشكره :

جزى الله عني صالحاً بوفائه ... وأضعف أضعافاً له في جزائه
بلوت رجالاً بعده في إخائهم ... فما ازددت إلا رغبة في إخائه
صديقٌ اذا ما جئت أبغيه حاجة ... رجعت بما أبغي ووجهي بمائه

ولم يكن أبو العتاهية كما قال الفضل ممن لا يظهر عليه أثر الصنيعة ، ولكنه كان يباشر هؤلاء العظماء مباشرة الند للند ، لا كما كان يفعل غيره من الشعراء المستجدين عند هؤلاء العظماء ، وإنما كان البرامكة يكرهون من أبي العتاهية إيثاره الفضل ابن الربيع عليهم ، وهو منافسهم السياسي في دولة الرشيد ، وقد صحبه أبو العتاهية صحبة طويلة ، وما زال الفضل من أميل الناس اليه ، فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخل عليه أبو العتاهية ، فاستنشده فأنشد :

أفنيت عمرك ادباراً واقبالا ... تبغي البنين وتبغي الأهل والمالا
الموت هولٌ فكن ما شئت ملتمساً ... من هوله حيلة ان كنت محتالا
ألم تر الملك الأمسيّ حين مضى ... هل نال حيٌّ من الدنيا كما نالا
أفناه من لم يزل يفني القرون فقد ... أضحى وأصبح عنه الملك قد زالا
كم من ملوك مضى ريب الزمان بهم ... فأصبحوا عبراً فينا وأمثالا

فاستحسنها الفضل ، وطلب اليه أن يعود اليه في وقت فراغه ليقعد معه ويأنس به ، فلما كان يوم فراغه صار اليه ، فبينما هو مقبل عليه يستنشده ويسأله فيحدثه اذ أنشده :

ولى الشباب فما له من حيلة ... وكسا ذؤابتي المشيبُ خمارا
أين البرامكة الذين عهدتهم ... بالأمس أعظم أهلها أخطارا

فلما سمع ذكر البرامكة تغير لونه ، ورأى أبو العتاهية الكراهية في وجهه ، فما رأى منه خيراً بعد ذلك . وقد حدث أبو العتاهية هذا الحديث الحسن بن سهل في دولة المأمون فقال له : لئن كان ذلك ضرك عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا ؛ ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يقبلها دارة إلى أن مات . وكان الحسن بن سهل فارسياً مثل البرامكة ، وكان الفضل بن الربيع عربي النزعة ، وقد انتهت تلك العصبية بين الفرس والعرب في هذه الدولة بضياع أمرها منهما معاً

ومن عتابه أيضاً ما كان منه لأحمد بن يوسف وكان صديقاً له

فلما خدم المأمون وخص به رأى منه جفوة فكتب اليه :

أبا جعفر إن الشريف يشينه   تتايهه على الأخلاء بالوفر
ألم تر أن الفقر يُرجّى له الغنى   وأن الغنى يُخشى عليه من الفقر
فان نلت تيهاً بالغنى نلت من غنى   فان غناي في التجمل والصبر

ومن شعره في الاستعطاف إلى الرشيد وهو في سجنه :

يا رشيد الامر أرشدني الى   وجه نُجحي لاعدمت الرشَدا
لا أراك الله سوءاً أبداً   ما رأت مثلك عينٌ أحدا
أعِن الخائف وارحم صوته   رافعاً نحوك يدعوك يدا
وابلائي من دعاوى آمل   كلما قلت تدانى بعدا
كم أمنّي بغدٍ بعد غدٍ   ينفد العمر ولم ألق غدا

وأما الزهد والحكمة والمثل فهي الفنون التي استفرغ فيها جهده ، وأربى فيها على غيره ، ونظم فيها ما استفاده من أهل العلم من السنن وسير السلف الصالح ، وأشعاره في ذلك لا مثيل لها لأنها مأخوذة من كتب الدين والسنة ، وما جرى من الحكم على ألسنة هذه الأمة . ومن بدائعه في ذلك أرجوزته المزدوجة التي سماها ذات الأمثال ، وتبلغ في الطول ما لم يبلغه شعر قبلها ، ويقال ان فيها أربعة آلاف مثل ، وهي تجديد عظيم في الشعر العربي بهذا الطول البالغ فيها هذا المبلغ ، وبهذه القافية التي مكنت له من المضي فيها الى الحد ، وهذا ما ذكره منها صاحب الأغاني :

حسبك مما تبتغيه القوتُ   ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا   من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمني أو فذَرْ   إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدرْ
لكل ما يؤذي وإن قل ألمْ   ما أطولَ الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله   وخير ذخر المرء حسن فعله
إن الفساد ضده الصلاح   وربّ جد جرّه المزاحُ
من جعل النمام عيناً هلكا   مُبلغكَ الشر كباغيه لكا
إن الشباب والفراغ والجدهْ   مفسدة للمرء أيُّ مفسده
يغنيك عن كل قبيح تركه   يرتهن الرأيَ الأصيلَ شكه
ما عيش من آفته بقاؤه   نغّص عيشاً كلهُ فناؤه
يارب من أسخطنا بجهده   قد سرّنا الله بغير حمده
ما تطلع الشمس ولا تغيب   الا لأمر شأنه عجيب
لكل شيء معدن وجوهر   وأوسط وأصغر وأكبر
من لك بالمحض وكلٌّ ممتزجْ   وساوسٌ والصدر منه تعتلج
وكل شيء لاحقٌ بجوهرهْ   أصغره متصل بأكبره
ما زالت الدنيا لنا دار أذى   ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج   لذا نتاجٌ ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس مَحضُ   يخبث بعضٌ ويطيب بعض
لكل انسان طبيعتان   خير وشر وهما ضدان
إنك لو تستنشق الشحيحا   وجدته أنتن شيء ريحا
والخير والشر اذا ما عُدّا   بينهما بَوْنٌ بعيد جدا
عجبت حتى غمني السكوت   صرت كأني حائر مبهوت
كذا قضى الله فكيف أصنع   الصمت إن ضاق الكلام أوسع

قال أبو الفرج وهي طويلة جداً وانما ذكرت هذا القدر منها حسب ما استاق الكلام من صفتها ؟

عبد المتعال الصعيدي

في وادي الهوى

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

شدا فوق فرع مورق بلبل الوادي ... فياحبذا الوادي ويا حبذا الشادي
فقلتُ له زدني بربك انني ... إلى نَغَمٍ حُلوٍ تُرَجِّعُه صادٍ
وما لحياة بهجةٌ وحلاوة ... إذا كنتَ في وادي الهوى غير مُرتاد
أفدني بأسرار المحبة خُبرةً ... فأنت عليمٌ بالخفيّ وبالبادي
ضلّتْ طريقي في هوى مَن أحبّه ... وإنك في وادي الهوى وحدك الهادي
فقال أتحميني من الموت إنني ... أراه فأخشاه على نبل صيّاد
توسّمتُ فيه الشرّ لمّا رأيتُه ... يسدّد نحوي السهمَ من عطفة الوادي
فطرتُ بعيداً عنه أهرب واقعاً ... على فَنَنٍ في ذروة الدوح ميّاد
ومن هجمات للغراب شديدة ... يريد بها عن موطني النضر إبعادي
يطاردني في موطني متعمداً ... وما زال فيه واقفاً لي بمرصاد
ينازعني في الشدو حق زعامة ... توارثتها من والديّ وأجدادي
فيهلم عشّي وهو ما قد بنيتُه ... بنفسيَ من نبتٍ يبيس وأعواد
وماذا من الإجرام كنتُ أتيتُه ... فيصبح هذا الأسود النحس جلّادي
براني في وادي الهوى الله شاعراً ... فأطربَ فيه الزهرَ شعري وإنشادي
وما طال لولا الزهرُ فيه إقامتي ... وما كنتُ لولا الزهر بالرائح الغادي
لقد كنتُ في الوادي إلى الزهر مُخلداً ... فهل كان يؤذي ذا جناحين إخلادي
سل الطيرَ بي هل كنتُ في العمر مرةً ... على واحدٍ منها إلى جانب العادي
وإن أضمرت نفسي على ذي تجاوزي ... من الطير أحقاداً تناسيتُ أحقادي
بلانيَ ربي كل يوم بظالم ... فالقصد من خلقي شقيّاً وإيجادي
ولو كنتُ ذا ظفر حديدٍ ومنسرٍ ... تجنبت الغربان بطشي وإرصادي
وإنيَ في الوادي الذي هو معبدي ... بروحيَ للزهر الذي يحتوي فاد
فما أجملَ الزهرَ الذي هو مشرق ... كنجم بدا في آخر الليل وقّاد
وقل لبني الضاد اجمعوا أمركم فما ... لقوم كسالى نهضةٌ يا بني الضاد

جميل صدقي الزهاوي

في وصف الطباع

وصف شامل للنفس وطباعها

للأستاذ عبد الرحمن شكري

ما ازدريت الأنام إلا وهان ا ... لكيد منهم وهان منهم عداء
وتفردت لا أصول بكيد ... وتزهدت واستقام العزاء
ومنَ الناس مَنْ إذا ما ازدراهم ... كان منه الإجرام والاعتداء
ولو انى أكبرتهم لم يروني ... غافراً واحتوتنيَ البغضاء
ولو أني أكبرتهم لم تر الرح ... مة ديني وما بهم رحماء
ودهم مثل بغضهم فيه عدوى ... مثل عدوى تسعى بها الثؤباء
ويرى المرء أنه كل شيء ... هو تِبرٌ وما عداه هباء
مركز الكون حوله دارة الأف ... ق وبهوٌ من فوقه وسماء
ولقد تحمد الخليل طويلاً ... ثم يبدو ما كان منه انطواء
فاذا الغدر شيمة وطباع ... وإذا الود والوفاء رياء
وإذا النفس جانب مظلمٌ ... بالدنايا وجانب وَضّاء
وإذا المرء يحمد الصحب منه ... جانباً والكريه منه خفاء
ومع الخُبر بالأنام فقد يه ... رو الفتى عند غدرهم إعياء
كل يوم يخال منه جديداً ... وهو رث وما طواه العفاء
قلبه الآمل المضلَّل بالو ... د يقود الأسى إليه الرجاء
ومع اليأس منهم كرم الصف ... ح إذا الحتم ما جنوا والقضاء
كلهم يشتكي ويشمت بالشا ... كي وكلٌّ كما يسيء يساء
كلهم يندب الوفاء وكلٌّ ... يتأذى وطبعه الإيذاء

كلهم قانص يرى فى وفاء الـ　　بخل صيداً وليس منه وفاء
كلهم لا يود للنــــاس ما ير　　غب فيه لنفســه ويشاء
ويُسَرُّ الفتى ويُبدى اكتئاباً　　إنْ ألَمَّتْ بصاحب بأساء
صادق العطف كان أو كاذب العطـ　　ـف ففى نحس خله سراء
وارتياح أنْ لم يُصَبْ مثل خل　　نزل الحزنُ دارَه والشقاء
وسواء خِبٌّ وغِرٌّ ولا غَرْ　　وَ فللغر صولة وعداء
كلهم إن يرقك منه ذكاء　　بعد حين يرعْك منه غباء
فكأن الذكاء منه وميض الـ　　ـبرق والعقل كله ظلماء
كلهم يبغض النقيصة حقاً　　حذر الناس بغضه إخفاء
واكتساباً للحمد والربح يقلا　　ها ولولاهما لعيف الرياء
كلهم يُلْبِسُ النقيصةَ منه　　حلة الخير وهو منه بَرَاء
يغضب المرء للفضيلة كيما　　يحسب الناس أن ذاك نقاء
وسواء نقص وفضل لديه　　إنْ تدانت من كسبه النعماء
ومن الناس من يبوح بنقص　　وكثيرٌ من قوله إطراء
كالذى قال إنما أفقدته الـ　　ـحلم منه صراحة وإباء
يمدح الحلم مغرياً وهو يسطو　　مغنم الحب فى الورى الحلماء
وحــذاراً للشر يمدح خيراً　　ذاك جبن فى طبعه واتقاء
قسم النقص والمحامد بين الـ　　ـناس منه الأحقاد والأهواء
فلئيمٌ من كان منه جفاء　　وكريمٌ من كان منه إخاء
ذاك ميزانه وما الحق إلا　　ما رأى الحق يأسه والرجاء
ويرى الأخرقَ الذى يرحم النا　　سَ وإن ود أنهم رحماء
كى يعدوه بالذى ضن عنهم　　بجداه وهكذا الأحياء
كل حى يصون منه حياة　　ولئن غال ما عداه العفاء
حاطها بالصيال والمكر والقسـ　　ـوِ ولو عم ما سواه الشقاء
وبإنكار كيده وأذاه　　وبدعوى الكمال وهو طلاء
يتدنَّى يبغى العلاء ولا يثـ　　ـنيه عما يحط منه إباء
غير من آثروا على أنفس منـ　　ـهم نفوسَ الورى وقد قيل داء
وعجيب إنْ كان أطهرُ ما فى الـ　　ـنفس داء والحرص منه الشفاء
وأشد القساةِ يُنكِرُ لوم الـ　　ـناس كيما يكون منه مضاء
وهو يُطرِى الحياةَ بُقيا على الكيـ　　ـد وذعراً يكون منه الثناء
بين أمرين يدرج الناس طراً　　جوع بطن أو أن يكون امتلاء
ومن الجوع أو حذاراً له أو　　خشية الموت كم قسا الأحياء
وامتلاء يصير شهوة جسم　　يهتك الطهرَ حفزها والمضاء
هَيِّنٌ بعدها إذا ما الضحايا　　نال منها نحس ونال شقاء
خمص بطن ونهمة وحذار　　واحتيال وقوة ورياء
ذلك العيش ثم ما كان من خيـ　　ـر بَكِيٍّ لولاه عيف البقاء
وقتالٌ على الحياة دعاه الـ　　ـحى فضلاً يبغى به ما يشاء
ذاك فضلٌ إذا أساء ولكن　　هو نقص فى الناس حين يُساء
ولو ان السبيل للموت سهل　　لم تكن عنه نجوةٌ أو عزاء
فاحمد العيش إن حبك للعيـ　　ـش مُلِحٌّ مهما تمادى العناء
إنَّ أقوى الرجاء ما تعرف النفـ　　ـسُ وإن قَبَّحَ الحياةَ الذكاء
لم يعفها وإنما شاء أنْ يُبْـ　　ـصِرَ قدماً من حسنها ما يشاء
دائب بَصَّرَ الأنام بما جَـ　　ـمَّلَ عيشاً ووصفه إغراء
والذى يكلأ الحياة على العلـ　　ـم بها لا تروعه الأشياء
يمدح المرء مثل ما حاز من فضـ　　ـل فإنْ زاد كان منه هجاء
فقليل ما تصدق النفس قولاً　　وكثير من أجل ذاك المِراء
مهجة الحاسدين من سورة الأحـ　　ـقاد والبغض مهجة هوجاء
ساء فعلٌ منهم فساءت ظنون　　والورى فى طباعهم شركاء
سوء ظن الأنام طبعٌ ولكن　　مقلة الظن مقلة حولاء
كل حى أمامه ما جنى الخصـ　　ـم يراه وما جناه وراء
وعجيبٌ أنْ يُحْسَدَ المرء حتى　　بعد أنْ لم تَدُم له النعماء
أى نفس من أنفس الناس عافت　　حسداً للقلوب منه اكتواء
لا بل الفضل إنْ تضاءل ما فى الـ　　ـنفس منه ولم يكن إيذاء
كلهم ذلك الحسود ولكن　　هَيِّنٌ ما بدت به الفضلاء
لو ينال الأنام ما حسدوه　　حسدوا ضده ولِيمَ القضاء
حسبوا اللؤمَ من ذكاء وعقل　　فادَّعاه الطغام والأعلياء
وتباهوا بقدرة اللؤم فيهم　　واستشاطوا إنْ قيل هم لؤماء
وقليل ما يندم المرء إن لم　　يك جُرْم من بعده الازدراء

فإذا الناس زَيَّنُوا منه جرماً ... شملته مِنْ مدحهم خيلاء
ومضى سادراً يرود من الآ ... ثام مرعى .ودأبه الكبرياء
يبتغى المرء أن يرى الناس طراً ... حيث يرضى وخلقهم ما يشاء
وهو لا يستطيع تغييرما فى ... نفسه كى يكون منهم رضاء
وحقيق بالشك مَنْ رأيه بِنْ ... بع ما خولجت به الحوباء
رأيه مثل خلقه وهواه ... حاكم فيه جَوُّهُ والغذاء
فى قنوط ومطمع وانقباض ... وارتياح تناكرت آراء
لو بدا الشر فى النفوس تعادت ... رحم الله فاحتواه كساء
وإذا الشر أعوز المرء عجزاً ... إدَّعَى أن عجزه استعلاء
ومُقِرٌّ بالشر كى يُغْفَرَ الشـ ... ـرُّ وكيما يعود منه اعتداء
واعتراف بالجود حرصٌ وكسبٌ ... وهو منه استزادةٌ لا وفاء
ولقد يحقد الشير إذا خَـ ... لاك رزء وكان منه رثاء
يجرأ الفرد بالجميع على الشـ ... ـر ولولاه غاله استخذاء
شد من أزر سافل أنَّ شراً ... جُمِعَتْ فى مناله الجبناء
فجبانٌ يشـــد أزر جبان ... وعداء يكون منه عداء
ولقد يفعلون خيراً ليخفى الـ ... ـشر منهم وذاك منهم رياء
والشقيُّ الجَزُوعُ من شر قوم ... جر نفعاً منه اليهم رجاء
مستنيمٌ إلى الولاء ويكوى ... قَلْبَهُ أن يغيض منهم ولاء
جاهل بالأنام يخدعه المُطْـ ... ـرى نفوساً لهم وحق الهجاء
لَقَّنُوه أنَّ المروءةَ أن يغـ ... ـترَّ بالناس وهو منه غباء
لا بل الفضل خيره وهو يدرى ... إنْ بلام أنْ قد يعز الجزاء
مطمئناً بعد اصطناع جميل ... عندهم إنْ دهاه منهم بلاء
كلهم ظالم وإن كان مظلو ... ماً رأى أنَّ قسوَةً استشفاء
يشتفى من لواعج الغيظ والذ ... ل بظلم الأذَلَّ بئس الدواء
يظلم الصاغر الضعيف كما يظـ ... ـلمه من له عليه اعتلاء
طبقاتٌ مُقَدَّرات من الطغـ ... ـيان ما إن يُخَال فيها انتهاء
ومع الشر والأباطيل فى النفـ ... ـس فللخير آنة صياء

عبد الرحمن شكرى



صور من هوميروس

١١ – حروب طروادة

أندروماك

للأستاذ دريني خشبة

استطاع نبتيون أن يزلزل قلوب الطرواديين .

وحسبه أن يفر من ميدانهم مارس الجبار ، وأن يفر فى إثره أتباعه آلهة الرَّوْع ، وفينوس ، أصل البلية التى حاقت بأليوم ، لينتقل النصر طفرة من جانبهم إلى جانب الهيلانيين

وبرزت شمس اليوم التالى على الساحة الملطخة بآثام الانسانية ، المُضرَّجة بأوزار الآلهة ، المصطخبة بأنين الوغى ... لتشهد من جديد صراع الضغائن وتصاول الأحقاد ، وأخْذَ السخائم بعضها برقاب بعض ، وهذه الكتل البشرية يفنى بعضها بعضاً

واشتد الهيلانيون فى طلب الطرواديين ، واستبسل هؤلاء ، فكانت أمواج الغزاة تتكسر على صخور شجاعتهم .... ولكنها لا تتلاشى

وعظم الخطب ، ومارت الأرض ، وانعقد رَهَجُ الحرب مما تثير الخيل من هَبَوات ، واشتجرت الهيجاء ، حتى لكأنها قطع من الليل ، وصلصلت الدروع حتى لكأنها عُواء ذئاب الجن ، واستشرى الشر حتى لا ترى إلا إلى منايا وآجال ، فى قتال ونزال . وأحس جنود طروادة بلُغُوب الوغى ، وشمروا بالرجفة تأخذهم من كل جانب ، وكان هكتور العظيم يخطف كالبرق بين صفوفهم يحضهم ويحرضهم ؛ بيد أن الشجاعة لا تغنى فى موقف الموت شيئاً ، فقد شرعت فيالقهم تتقهقر ببطء نحو الأسوار ، حتى إذا بلغوها لبثوا ثمة يصلون أعداءهم وابلاً من السهام ، تساعدهم الرماة من فوق الأبراج . . .

لكن الهيلانيين ما تفتر لهم همة ، ولا يصل إلى حماستهم كلال ؛ فقد صمدوا فى مواقفهم ، وثبتو وصابروا ، وأبدوا من ضروب البسالة والبأس ما حير ألباب أعدائهم ، وجعلهم إلْبًا عليهم واحداً ! !

وفى عنفوان المعمعة لقى هيلانوس بن بريام الملك ، أخاه المغوار هكتور يقصف بين الصفوف ويرعد ، ويرغى بين المحاربين الصناديد ويزبد ؛ وكان هيلانوس خير كاشفى الغيب ، وعرَّافى الطرواديين ؛ وكان حبيباً إلى الآلهة ، جميل الطلعة ، بسام الثغر ، حتى فى الحرب ؛ وكان إلى ذلك حازماً موفور الحزم ، صارماً شديد البأس ، يقهر الغير على احترامه ولو كانوا يكبرونه سناً ؛ فلما رأى هكتور يمبس تلك العبوسة القمطرير لما يحيق بجنوده من أذى ، ذهب اليه قُدماً وقال :

« أى أخى ! أى هكتور العظيم ! »

وما كاد هكتور يسمع النداء الحبيب حتى هرع الى أخيه يلتمس فى صدره الحنون برداً لحر تلك الجحيم التى لفحت شجعان طروادة بزفيرها ، وصاح به :

« هيلانوس ! أنت هنا ؟ ادع لنا آلهتك يأيها العزيز ! لقد كؤد النصر بعد إذ حسبناه فى أيدينا أمس . . . . ادع لنا آلهتك فقد عيينا بهؤلاء الهيلانيين الأبالسة ! . . . »

ـ « هكتور ! إسمع إلىَّ ! لن تظفروا بهؤلاء مادامت مينرفا معهم تؤيدهم ، وتشد أزرهم ، وترد عنهم سهامكم ، فتجعلها فى نحوركم ! ! »

« هكتور ! هلم إلى القصر يا أخى ، فالق والدتك المرزَّأة ثمة ، فتوسل اليها أن تذهب من فورها ، مرتدية أبهى ملابسها إلى هيكل مينرفا ، فلتبك عند قدمى تمثالها ، ولتقدم الضحايا ، ولتُقرب القرابين ، ولتحرق البخور القدس ، المزوج بالأفاويه والصندل وطيوب الهند ؛ ولتنذر أن تذبح اثنتى عشرة بقرة من خير أبقار إليوم ، فتتصدق بلحومها ، وتهب الكهنة شحومها ،

إنا وعدت ربة الحكمة أن ترفع مقتها وغضبها عن طروادة ! »

وألحف هيلانوس على هكتور، فألقى نظرة على المعركة، وكاد قلبه يتفطر على هذه الأشبال التي تسقط هنا وهناك، وفي كل صوب وحدب، لاقيةً حتوفها في سبيل إليوم، وذرف عبرات تذوب حناناً ورحمة، ثم لوى عنان حصانه إلى البوابة الكبرى، فدخلها وقلبه يتصدع من الهم، ووقف مرة أخرى يلقي على الساحة المضطربة نظرة قائد بجنوده جد رحيم . . . .

وانطلق إلى القصر الملكي المنيف ذي الشرفات والآكام . .

وهناك . . . . عند بوابة القصر، وتحت البلوطة الكبرى الوارفة، اجتمع حول هكتور نسوة كثيرات، هن أزواج المحاربين البواسل وأخواتهم وبناتهم، وأمهاتهم كذلك، ازدحمن حوله يسائلن عن رجالهن، هل أودى بهم حتف القضاء؟ وأسقوا ثرى الوطن العزيز من دمائهم، أم ما يزالون يناضلون الأعداء، ويردون عن طروادة حمى البلاء؟ . . . . .

ولكن هكتور يوشك ألا يسمع لهن، لأنه ينطلق من فوره إلى داخل القصر، ... وها هو ذا يهرع في أبهائه العظيمة، ماراً بتلك الغرف الحسين التي تضم أزواج أبيه وأطفالهن، ثم بالبهو الأكبر ذي العماد الشاهقة، ثم بالجواسق المذهبة ذات الدمى والتماثيل، حتى يكون عند ردهة الملكة، فتلمحه أخته الجميلة ذات الفتن لاؤوديس فتجري اليه، وتلف ذراعيها حول ساقيه، فيتخلص منها برفق . . . وتكون والدته قد أحست وجوده فتهرع اليه، وتهتف به :

« هكتور! بُنيّ! ما ذا جاء بك هنا؟ لمن تركت الساحة يا ولدي! أهكذا تدع أبناء طروادة للموت الأحمر وتجيء إلى الحرم تنشد الراحة يا هكتور؟ لا . لا . لا أحسبك تتخلى عن جنودك لحظة . ولكن هلم إلي! إليك هذه الكأس من أشهى ما عصر باخوس! روِّ ظمأتك منها وعد إلى الميدان ... »

بيد أن هكتور يتجهم تجهمة مُغضَبة، ويهتف بها :

« أماه! حاشاي يا أماه! حاشاي يا أعز الأمهات! لن تهرق الخمر باسمي، وتلك دماء إخواني تهرق باسم الوطن وتُراق! حاشاي يا أماه أن أتذوق قطرة واحدة من تلك الكأس، وهناك . . . في سعير المعمعة، يجرع أبناء طروادة الأعزاء كؤوس المنايا وذوب الحمام! أريقيها على مذبح مينرفا إذن! هلمى ولتكن معك أزواج القادة والمحاربين جميعاً، فالبسن أبهى ثيابكن الحريرية المفتّلة، وحبركن المفوّفة، وانطلقن إلى هيكل مينرفا، فصلين لها، واحرقن البخور الغالي من الأفاويه والصندل أنخر طيوب الهند، ثم اركعن عند قدمي تمثالها المعبود، وابكين بكاء طويلاً، وسبحن باسم إلهة الحكمة، واغسلن الأرض عندها بدموعكن، ثم توسلن إليها أن ترفع عن الطرواديين مقتها وغضبها وانذرن أن تقربن، لو فعلت، اثنتي عشرة بقرة من خير أبقار إليوم، يتصدق على الفقراء وأبناء السبيل والمعترّين بلحومهن، وعلى كهنة الهيكل بشحومهن . . .

« أماه! إن لم تفعلن كما أخبرتك فلا نصر لنا . . بل لنا الهوان والهزيمة المؤكدة . . وعليك وعلى نساء طروادة السلام من أربابها الكرماء! . . . »

وسمت هكتور! واربد وجه هكيوبا!

وانطلق البطل إلى قصر أخيه . . . إلى قصر باريس فوجده يلهو ويلعب، ولا يأبه بهذه الأرواح التالية التي تصطرع في الميدان، فأخذته الحُنْقَة، وصب عليه شُواظ غضبه . . « أنت! أنت باريس بن بريام! عجباً وزيوس الأكبر! أنت هنا تلهو وتلعب، وتدع ضحاياك تنافح عن آثامك تحت أسوار إليوم، وتذوق الردى بجريرتك؟! . . . »

وأطلق العنان للخيل، فذهبت عربته الحربية المطهمة تطوي الطريق إلى الميدان . .

أما أمه فقد جمعت نساء طروادة وجماعة المتوسلات (1)، وذهبن جميعاً إلى هيكل مينرفا . . . وصلّين وبكين، وغسلن بدموعهن قدمي التمثال المعبود، ونذرن لآلهة الحكمة ما أمر به هكتور أن يُنذر . . .

ولكن!

لقد أصمت مينرفا أذنيها! ولم تُصغِ لهذه التوسلات المكلومة، ولم ترق لتلك العبارات المسفوحة، ولم تطمع أبداً في ضحايا وقرابين تكفر عن خطيئات باريس؛ ذلك الراعي للفتون الذي آثر الجمال الفاني على الحكمة الخالدة، فقضى في التفاحة لفينوس، ربة الحسن والحب، تلك الحية الرقطاء التي لبغت

(١) Suppliants وقد نظم فيهن كل من اسخيلوس ويوريبدز إحدى دراماتهما الخالدة

طروادة بأسرها ، فهى إلى اليوم تصرخ من سمها الزعاف يسرى فى أرواح أبنائها ، فينكل بهم ، ويكاد يقضى عليهم . . . ولا ذنب لهم ولا جريرة ، إلا لبانات الهوى الآثم ، والغرام الشائن ، والحب المجرم المهين ! !

* * *

وأحس هكتور وهو منطلق إلى الميدان كأن منيته تنوشه من مكان بعيد ، وأحس فى صميمه بشوق حار إلى لقاء أندروماك ، زوجه العزيزة عليه ، الأثيرة إلى قلبه ، شوقاً يشبه وداع الحياة فى حرارته وأسره ، وشوقاً يشبه الاستمتاعة الأخيرة من مباهج هذه الدنيا . . . فى حزنه الصامت ، ومعناه العميق !

وأحس كذلك بلوعة الى التزود بنظرات من سكمندروس طفله الحبيب ؛ هذه الهبة السماوية التى توشك أن تصبح نقمة من نقمات اليتم ، اذا كان صحيحاً هذا الهاجس الذى وقر فى قلب هكتور ، والذى صور له أنه مقتول اليوم لا محالة . . .

وألح الشوق على قلب البطل ، فثنى عنان الخيل إلى الطريق المؤدية الى قصره المرد ، ليشفى حاجات الفؤاد المذب

وذهب من توه إلى مخدع أندروماك ! ولكنه لم يجدها هنالك ، فبحث عنها فى الغرف والردهات والأبهاء ، ولكنه عبثاً حاول الوقوف لها على أثر !

وسأل عنها حشم القصر ، وكان صدره يعلو ويهبط حين كن يتحدثن إليه عن أندروماك العزيزة وما تلقاه دائماً من القلق ، وما تتفزع به روحها من الهواجس مادام زوجها يخوض غمار هذه الحرب !

فهل هى من الأرض الثقيلة المخضبة بالدماء هذه العواطف المشتركة ، أم هى من السماء الصافية التى لا يرتفع إليها نقع ، ولا يورى فيها زند عداء ، ولا تشب فيها سخيمة ؟ !

وأخبرنه أنها يممت شطر برج طروادة الرفيع ، تشهد منه ما يحدث فى المعركة من أهوال ، وذلك عند ما ترامت الأخبار أن الأغريق قد ضيقوا الحصار على جنود طروادة ، وأنهم خضدوا شوكتهم ، وفلجوا عليهم ، ونخبوا قلوبهم ، وضعضعوا أركانهم . . . فريعت أندروماك ، وذهبت من فورها إلى البرج لتطمئن على رجلها وذخر حياتها ، وسندها فى هذه الحياة السوداء

ونهد هكتور إلى البرج ، فلقيته أندروماك بعينين مغرورقتين ووجه شاحب وجبين مغضن ، وصدر ينوء بما فوقه من الهموم

كانت تقف ابنة إيتيون ، الجميلة البارعة ، وعلى ذراعيها المرمرى الفاتن طفلها الرضيع الشاحب ، الذى حل بهذه الدنيا الهازلة ليكون عبرة سخينة من عبرات الحزن القاهر ، ثم ليكون مأساة وحده حين تضع هذه الحرب الضروس أوزارها ، وحين يشب فلا يرى حوله إلا الباكين والمحزونين ، وإلا هذه المدينة الكاسفة التى تعصف بها آلهة الحرب ، من غير ما شفقة ولا مرحمة !

وتعلقت أندروماك بذراعى زوجها ، وشرعت تنظر فى عينيه المبللتين ، وتقول له :

« هكتور ! رَجُلى وذخرى من هذه الحياة ! الى أين أيها الحبيب ؟ أما لهذه الحرب الطاحنة من نهاية ؟ أهكذا قضت الآلهة على طروادة الخالدة بالحزن الأبدى والأسى المقيم ؟ هكتور ألا تفكر فى سلم يرفرف على ربوع الوطن ، ويبقى على هذا الشباب الذى تعصف به ريح الحرب ؟

رَجُلى !

إن آلافاً من الهواجس السوداء تضغط على قلبى تحدثه بالعُقبى الوخيمة ، والأيام الباكية القريبة !

هكتور ؟

هذه أشباح القتلى الأعزاء من بنى وطنى تحدثنى عن مأساة أبى ، واخوتى السبعة ، والمئين من أهلى ، فتلهم أخيل الجبار بيده السفاحة وجعل من جثثهم كومة عالية تقص على القرون تاريخنا الحزين !

لقد هرعوا جميعاً إلى هذه الساحة من سيليسيا ، ملبين نداء الملك ، الملك التاعس ، أبى ، الذى سعى الى طروادة لينام أبد الدهر فى ظل أسوارها نومةً غير قريرة ولا هانئة . . .

هكتور !

لقد نام أعز الآباء فى تراب ساحتكم دفاعاً عن مدينتكم ، ولكن المأساة لم تتم بقتله وقتل أبنائه والمئين الأعزاء من بنى جلدته ، ولكن المأساة أبت إلا تكون أمى . . . آه يا أمى العزيزة ! أن تكون هذه الأم صفحة حلولكة من صفحاتها التى تفجر الدم فى القلب ، وتضرم النار فى الحشا !

لقد ساقها أخيل يا هكتور فى جملة السبى ، ولولا القود

الـكبير ، والفدية الغالية التى بذلناها من أجلها ، لـكانت إلى اليوم ، لو مد فى أجلها ، إحـدى خادمات الأعداء الذليلات ، اللواتى لا علك لمن فى هذا الأسار عزة ، ولا يقدر لها أحد شأناً ! لـكنها سقطت هناك ، فى هامش هذه الساحة الظالمة ، ضحية سهم مرياش من قوس الالهة ديان ، فكأنما رفضت أن ترفع كأس هذه الحياة إلى فمها النقى الطاهر . بعد إذ لوثته أجداث الدهر بذل الأسار ! !

هكتور ! !

كل هذه النوازل هدت نفسى ، وحطمت قلبى ، وأثلجت مشاعرى ، وجعلتنى بائسة تاعسة موهونة لا حول لى . . . لولا أنك إلى جانبى تأسو جراحى وتؤنس وحشتى ، وتشيع نوراً متلألئاً فى ظلمات حياتى . . . ! فأنت لى اليوم أب نعم الأب ؛ وأنت لى فى وحدتى بقلبك الحنون أم نعم الأم ، وأنت لى أخ ، بل أنت لى كل شىء فى هذه الدنيا !

هكتور !

ابق إلى جانبى فأنا لا أستغنى عنك بأب أو أم أو أخ ، أو بمملكة يزين مفرق تاجها الشرق ، ولا يشد يمينى صولجانها الرنان !

ابق إلى جانبى يا هكتور !

ابق إلى جانبى وارع هـذا الطفل ، ولا تسلمه وتسلمنى لليتم والشقاء

هكتور !

إن المستقبل يعبس من اليوم لولدك سكندريوس ؛ فرده عنه ، وادفع عاديات الزمان من الآن عن فلذة كبدك ، وحبة قلبك ، واستشعر نحوه حنان الأب الرحيم ، ولوعة الأم المفئودة !

. . . . »

وخنقتها عبرة حجبت عن ناظريها نور الحياة ، وحبس منطقها كمد ممض ، وحزن أليم ؛ ووقف هكتور مبهوتاً لا يحير ، ينظر اليها مرة ، وإلى ولده أخرى ، ثم يلق على طروادة نظرات . . .

واستيقظ بطل اليوم من غفوته الصاحية ، وانطلق لسانه من عقاله يقول :

« أندروماك ! أيتها الحبيبة ! إسمعى إلى ! »

لا تخالى يا أعز الناس إلى أن قلبى قد تحجر فلم يخفق لـكل ما ذكرته من قبل ! لا ! لقد خفق كثيراً بمثل هذه الهواجس !

بل هو قد ذكرك ، وقد تصور أن هكتور مقتول ، وكأنك كا ذكرت عن أمك فى جملة السبى ، وأنك تؤوبين مع أحد القادة الهيلانيين إلى هيلاس ! وأن القائد الغليظ قد ضمك الى حرمه ، أو بالغ فى الايذاء فجعلك احدى سراريه أو خدمه ، كلما مر بك أحد أشار اليك بالبنان : « مسكينة ! هذه زوجة هكتور فتى طروادة ، وابن ملـكها المقدام ، البطل الذى سفك الدماء وسعر الهيجاء ، تعمل هنا اليوم خادمة ذليلة ، كسيرة القلب ، مهيضة الجناح ، تأتمر بأمر السفلة والأخساء !

لا يا أندروماك ! لقد ذكرت ذلك جيعاً ، ومن أجل هذا فأنا لهذه الحرب ، وأنا لهؤلاء الأعداء ! سأحطمهم ! سأدك الأرض من تحتهم ! سأسقط السماء عليهم كسفاً ...! من أجلك ! من أجلك يا أندروماك ! لا .. لا .. بل من أجلك يا طروادة ...! يا وطنى ! يا بلادى ! . . . »

وسكت فتى طروادة قليلاً ، ثم ذكر المعركة وما يدور فيها ، فتقدم الى زوجه فطبع على جبينها قبلة كلها هموم : ومديده يريد أن يأخذ سكندريوس فيداعبه أو يودعه ؛ ولـكن الطفل صرخ مروّعاً من هذه القبعة النحاسية المذهبة التى تحمى مفرق أبيه ! وابتسم الوالداه ، برغم حزنهما ، ورفع هكتور القبعة وألقاها على الأرض المعشوشبة ، وتناول الطفل فأرقصه قليلاً حتى انفرجت شفتاه عن ضحكة عالية ، ولثمه كا تلثم العاصفة فنناً وارفاً فتلفحه ، ودفع به الى حضن أمه

وانطلق يطوى الطريق الى المعمة ! . . .

(لها بقية) دريني خشبة

الطالع العام

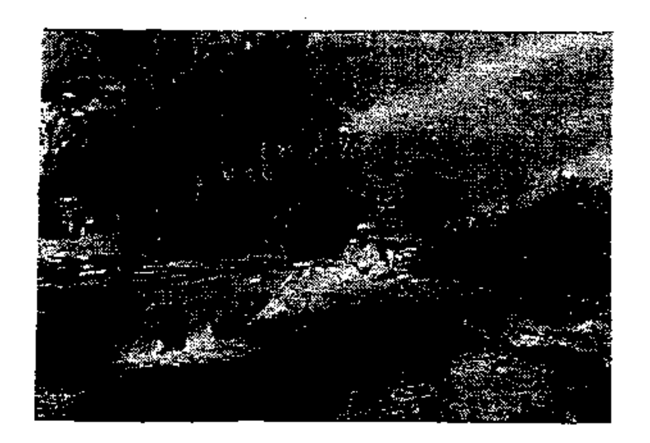
كتاب المرشـد الظريف فى طالع الجنس اللطيف يتضمن ٣٥٢٠ جواباً على ٢٢٠ سؤالا عن الماضى والحاضر والمستقبل لجميع الناس مهما كانت أعمارهم ومراكزهم فالى العذارى الفاتنات والزوجات الطاهرات والوالدات الحنونات وربات البيوت المدبرات ، والنساء الغاويات والشبان والرجال نقدم هذا الـكتاب من قلم الأستاذ حنا أسعد فهمى المحامى من باريس وثمنه ١٢ قرشاً صاغا والبريد قرشان ويطلب من مكتبة العرب الشهيرة بشارع الفجالة رقم ٤٧ بمصر تليفون ٥٦٠٢٥

٢ـ رحلة إلى حدود مصر الغربية

مرسى مطروح ، سيوه ، السلوم

للأستاذ الرحالة محمد ثابت

أقلتني سيارة برفقة الأخ النبيل الكريم حسن حشمت ، من خيرة الشبان وأكفأ ضباط الحدود ، وطفنا بكثير من البساتين والينابيع ، وهي عماد موارد الواحة وخير ما يميزها ، تنتثر في أطرافها في عدد لا حصر له ، وحولها تقوم غابات النخيل تتخللها أشجار الفاكهة ، أخص بالذكر منها الكروم والزيتون ، ثم الرمان والتفاح والبرقوق والموالح ، على أن البساتين تفتقر إلى عناية كبيرة من أهلها ، فهي مهملة إلى حد كبير ، إذ تغص أرضها بالطفيليات ، وتزدحم بالأشجار المتجاورة ، مما يؤثر ولا شك في مقدار انتاجها عاماً بعد عام . ويخيل إليّ أن الناس هناك أميل إلى الكسل ، إذ كنا نرى ماء الينابيع المتفجرة يجرى على غير هدى ، ويؤدي بعضه إلى مستنقعات فسيحة هائلة بعضها يبدو كالملاحات المديدة . نرى كتل الملح الأبيض الوضاء تكسو جوانبه إلى مد البصر ، ولقد حاولت وزارة الزراعة إصلاح تلك الأراضي وحث الناس على استغلالها بطريقة أنجع من طريقتهم الحالية في الحرث وتمهد الأرض ، وكذلك في الاستفادة بذلك الماء الوفير الذي يضيع سدى ، ولقد قامت وزارة الزراعة هناك بجهود يشكر في توزيع أشجار الزيتون والخروب على الناس مجاناً ، وفي الاحتفاظ بمياه الينابيع فأقامت حول كل عين أحواضاً كبيرة من البناء تؤدي منها المجاري الصغيرة إلى مختلف النواحي ، بحيث تشعر وأنت تجوب أطراف الواحة من كثرة القنوات وتقاطعها وتشعبها أنك وسط قطر زراعي ممتاز ، لكن رغم ذلك يضيع جانب كبير من ذلك الماء سدى ، ولقد ساعدت تلك القنوات على تجفيف كثير من المستنقعات التي كانت مربى خصيباً لبعوض الملاريا الذي كان يفتك بالناس فتكا ذريعاً ، وهي تبث في تلك المياه نوعاً من السمك الصغير الذي يعيش على بويضات ذاك البعوض استئصالاً له . ولقد زرنا مصنع وزارة الزراعة الذي أقامته لاستغلال أكبر موردين للناس هناك : البلح والزيتون ؛ وهي تبتاع من الأهلين جانباً كبيرا من أجود أنواع البلح ، وتخضعه لعملية الغسيل والتطهير والتبخير ، ثم الكبس في صناديق من خشب تبطن بالورق المقيل ، وتصدر منه بين ٢٠٠٠ و ٤٠٠٠ طن في العام ؛ وفي جانب من المصنع معصرة آلية للزيتون بكامل معداتها ، يعصر فيها الزيتون وينقى الزيت بعدة عمليات ، ثم يوضع في صفائح ويصدر ؛ وانتاج المصنع آخذ في الزيادة ، ولذلك تفكر الوزارة في توسيعه باطراد . وللأهلين كثير من المعاصر الخاصة للزيت ومساطح البلح الذي يعدون منه (العجوة) السيوى الشهيرة ؛ أما باقي أنواع الفاكهة فلا يكادون يستفيدون منه تجارياً ، حتى البيع لأهل الواحة نفسها غير مباح ، ذلك لأن المالك يعد بيع الثمار للناس معرة لاتليق بكرامته ، ولكل انسان أن يدخل البساتين ويأكل منها ما يشاء بدون مقابل ، ولكن ليس له أن يحمل إلى الخارج شيئاً منها إلا في حالات خاصة ، عند ما يريد المالك تقديم الهدايا من ثمار حديقته لبعض ذوي المكانة والجاه من الغرباء أو الأهلين . ولم أدرك من صنوف الثمار شيئاً ، اللهم إلا أردأ أنواع البلح هنالك ويسمونه البلح الفراوى ، أما البلح الممتاز المسمى الصعيدى ، والذي يليه جودة الفريحى فلا يزال فجاً غير ناضج



عين تابرزت من أكبر ينابيع سيوه

أذكر أنا دخلنا بستاناً وتفيأنا بشجرة ، وكانت الأرض تحت النخيل يكاد يفرشها ذاك البلح الردئ (الفراوى) فطلب الأخ حشمت إلى الرجل أن يذيقنا أطيب ذاك البلح ، فاعتلى

الرجل النخلة وهز عرجونها ، فأمطرتنا وابلاً من رطب أصفر كبير ، فأقبلنا ننتق منه أطيبه ونغسله فى ماء النبع حولنا ونأكله ، فكان لذيذاً شهياً ، وما كدت أمتدحه حتى سارع الرجل بالاعتذار بأن الأنواع الجيدة لما تنضج بعد ، وأن هذا النوع القسى تأكله غير جدير بنا ، لأنه عندهم طعام الحمير ! وقد علمت أنهم حقاً يقدمونه علفاً للحمير ، والنوى تأكله المعزى

وأكبر عيون الواحة عين قريشت التى تبعد عنها بنحو عشرين ك . م ، ثم عين تاخرورت التى تنفجر بقوة هائلة ويتدفق منها ٤٠٠٠ طن يومياً يضيع جله فى متسعات الملاحة بالبحر ؛ ثم عين الشفا ، وتقول خرافة قديمة إنها كانت متصلة بالجن ، خاضعة لعبثهم ، ثم اكتسبت هبة سحرية هى شفاء الأمراض كافة ، لذلك يكاد يغتسل فيها الناس جميعاً كل يوم ، فالنساء يقمن مبكرات ويغسلن أجسادهن دون رءوسهن احتفاظاً بجمال الشعر آخر آيات تجملهن ، ثم يعقبهن فى ساعة متأخرة الرجال ؛ والعين التى يستقى منها الناس جميعاً عين تابه أمام مركز البوليس ؛ وكم كان يروقني منظر الناس وبخاصة النساء وهن يردن تلك العين فى بكرة الصباح وعند الأصيل علأن جرارهن ! هذه سيوية فى نصف سفور ، وقد ارتدت جلباباً فضفاضاً من قماش يغلب على نقوشه التخطيط الأزرق ، وقد ضفرت شعرها فى جدائل متعددة ، بعضها يتدلى إلى جانبى الرأس والبعض أمامها ؛ وتنتهى الجدائل الخلفية بقطع من جلد خشن كان سبباً فى أنهن لا يستطعن النوم على ظهورهن أبدا ، وتزين أذنيها أقراط ثلاثة ، فى أسفل الأذن فى طوق كبير يعلوه فى وسط الأذن واحد أصغر منه ، ثم يعلو هذا ثالث هو دونه حجما ، وتكاد تكسو رقبتها أطواق من الفضة بعضها خارج بعض ، وهؤلاء لا يغسلن رءوسهن إلا فى فترات بعيدة تمد بالأعوام ، وبعضهن لم يغسلنها منذ نشأن ، وذلك خشية افساد زينة الرأس ، وهن كل أسبوع يتعهدن الشعر ببعض الزيوت والأعطار ، ويخيل إلىّ أن سبب تلك العادة سقوط الشعر من أثر أملاح مياه الينابيع مما نفرهن من غسله فأضحت عادة فيهن

والسيويات جميلات الوجوه بألوانهن الخمرية وتقاطيعهن الدقيقة النحيلة . وإلى جانب السيوية كنت أرى عربية ازينت بجلبابها الأحمر ، وأحاطت خصرها بحزام مموج من الأمام ، وكانت تهولنى أكمامها الكبيرة ، ولقد خبرنى الطبيب بأنه عند الكشف على إحداهن لا تضطر السيدة أن تخلع ثوبها ويكفى أن ترفع ذراعها فيظهر كل جسدها من كمها



سيوية ترد ماء نبع فى سيوه ويشاهد فى وجهها الجمال الغربى

وللقوم لغتهم السيوية الخاصة ، كنت أستمع إليها فى رطانة هى أبعد من اللهجات الأوروبية عنا ، وقد حاولت أن أتعقب فى كلماتها شيئاً يمت إلى العربية أو اللاتينية بصلة فلم أهتد إلى كلمة واحدة ؛ وهم يتخاطبون بها دائماً ، لكنهم إذا تحدثوا إلى الغريب تكلموا بالعربية ، وأطفالهم لا يعرفون إلا اللغة السيوية . واليك أمثلة من تلك اللغة : تلحاك أنك (كيف حالك ؟) ، أمقحاط : (أين تذهب ؟) ، سقم أنا سيط : (من أين تجيء ؟) ، أفتك اللون : (افتح الشباك) أقّن شاشينّك أخنفينّك (ألبس الطاقية على رأسك) أقن شخشيرك فى أشكنّك (البس الجورب فى رجلك) أشوُ (الطعام) الخ . وما إلى تلك الألفاظ التى تمعن فى الغرابة بالنسبة للغتنا ، وحتى أسماؤهم تجد من بينها عجباً مثل : تلشلشت ، زوبّاى ، يسّخ . ولهم تدليل خاص لبعض أسمائنا فتلاًينادون : أبا بكر باسم كاكا ، ابراهيم باسم بابى ، أحمد باسم حيدة ؛ ويقال إن أصل تلك اللغة بربرى مازجتها العربية ثم الرومانية . ولا تزال للرومان هناك بعض الآثار ؛ أشهرها معبد المشترى (جوبتر أمون) ، وكان مقر الكهنة ذرعه ٣٦٠×٣٠٠ قدم ، ومن أحجاره ما يبلغ ٣٣×٢٦ قدماً ، وقد زاره الاسكندر بعد أن قاسى المتاعب الممضة وبعد أن نضب ماؤه وأشرف على الهلاك لولا أن سقط المطر فأنجاه هو

ورجاله . وكان يقوم في هذا المعبد صنم اسمه سيوح هو الذي أكسب الواحة اسمها ؛ وقد زرت هذا المعبد وألفيته في حال يرثى لها ، فأنت لا تكاد تجد به حجراً قائماً على أصله وذلك من أثر أحد المأمورين الذين رأوا في أحجاره مادة صالحة لأقامة مركز البوليس ، فقام بهدم المعبد واستخدم أحجاره فيما أراد ، والمفروض أنه من مثقفي القوم ومن الذين يعرفون قيمة الاحتفاظ بمثل تلك الآثار الجليلة ، وهو لا يزال مأموراً إلى اليوم في ناحية أخرى من مراكز الحدود ؛ عفا الله عنه وكفر له عن سيئته

ويقال إن تلك الواحة كانت تسمى عند العرب (سنتريه) ، بناها منافيوس مؤسس بلدة أخميم ، أقامها من حجر أبيض وشيد وسطها تلعاً من سبع طبقات وعليه قبة من خشب على عمد من رخام ، وكانت كل طبقة لطائفة من الناس على حسب مكانتهم ؛ على أني لم أجد لكل هذا أية بقية أو أثر . وقد حاول قمبيز تدميرها وهدم معبد أمون الذي بها فهلك جيشه العظيم في طريقه اليها . ولقد زاد ذلك في تقديسها لأنهم عزوا ذلك إلى غضب الآلهة ، ولم تدخل تلك الواحة تحت حكم مصر إلا في عهد المغفور له محمد علي باشا حين أرسل اليها حسن بك الشماشرجي ، حاكم البحيرة إذ ذاك ، فأخضعها وتعهد بها عرب أولاد علي إلى زمن سعيد باشا ثم ضمت لمديرية البحيرة ، وهم يؤدون ضريبة النخيل للحكومة ، وكان مجموعها زهاء ٨٠٠ جنيه وزعت على عدد النخيل الجيد الذي يثمر البلح الصعيدي ، فخص كل نخلة نحو تسعة مليمات ضريبة تدفع للدولة كل عام ؛ ويكاد يكون لهم نظام حكم خاص بهم فالحكومة تكل أمرهم إلى المشايخ وعددهم سبعة يتقاضون مرتبات تتراوح بين جنيهين وأربعة كل شهر ، وهؤلاء هم الوسطاء بين الدولة وبين الأهلين ؛ وعند انتخابهم يجتمع أعيان الواحة ممن تزيد ملكيتهم على مائة نخلة وينتخبون الشيخ ولا تقل أملاكه عن ٢٥٠ نخلة ؛ وغالب منازعاتهم تحل بطريق التحكيم فيختار كل من الخصمين رجلين يوكل اليهما الأمر وقضاؤهما نافذ بعد عرضه على المأمور ، وأساس تشريعهم القواعد التي وضعها لهم عالم اسمه محمد يوسف ، وتكاد تكون وفق تقاليدهم الخاصة ، إلا في الزواج والميراث فهم خاضعون لقضائنا . وعدد سكان الواحة يقرب من خمسة آلاف ليس بينهم مسيحي واحد ؛ ويقولون إن أربعين رجلاً من العرب والبربر وقبيلة أغورى وفدوا إلى تلك البقعة وأقاموا لهم معصرة ودونوا أسماءهم في سجلاتهم ، ثم تكاثر نسلهم حتى بلغ هذا العدد ومن لا ينتمي إلى واحد من أولئك الأربعين يعد دخيلاً عليهم

وطبقة العمال هناك يسمون الزجالة أو الزجالين ، يزيد عددهم على الخمسمائة ، وهم الذين يقومون بخدمة الأرض نظير قيام السيد بمؤنتهم الضرورية ، ولكل خادم جبة من صوف وثوب من قماش كل عام ، وعند جمع المحصول يتسلم الواحد ٣٢ صاعا من الحب وأربعين من البلح الصعيدي الجيد . وتلك الطائفة كبيرة العدد مفتولة السواعد ممتلئة الجسوم ، ممنوع أفرادها من الزواج مخافة أن يزيد نسلهم فتزيد النفقة على سيدهم ، ومن تزوج منهم طرده سيده وتخلص منه ؛ وهذا لا شك من أسباب قلة النسل في الواحة كلها ، وقد أخذ ذلك يهدد السكان بالانقراض ، فضلاً عن أنه ساعد على انتشار الفساد إلى درجة كبيرة

(يتبع) . محمد ثابت



وفاة الشيخ محمد بخيت

في اليوم الثامن عشر من هذا الشهر استأثر الله بالفقيه العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية السابق ؛ وهو خاتم طبقة من العلماء المحققين الذين تميزوا في حياة الأزهر بالتبسط في العقائد ، والتعمق في الفقه ، فانتهت اليه الأمانة فيهما حيناً من الدهر . كان — غفر الله له — من أشد المعارضين لحركة الاصلاح التي قام بها الامام محمد عبده ، دفعه إلى تلك المعارضة الثائرة شهوة المنافسة من جهة ، وتحريض أولي السلطان من جهة أخرى ، وكان في الشيخ ذكاء شاهدة ، ودعابة لطيفة ؛ وطموح إلى مساماة الامام في منصبه ونفوذه وشهرته حرك فيه الأخذ بنصيب من الأدب والثقافة العامة . ولعله كان أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفي ، وأبسطهم لساناً في وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة

ولد في بلدة المطيعة من أعمال أسيوط في سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٦ م) ، ثم دخل الأزهر في سنة ١٢٨٢ هـ وتخرج منه سنة ١٢٩٢ فاشتغل بالتدريس فيه . ثم انتقل سنة ١٢٩٧ إلى القضاء فتقلب في مناصبه حتى تولى قضاء مصر نيابة عن القاضي التركي نسيب افندي . وفي سنة ١٩١٤م عين مفتياً للديار المصرية ، وظل في هذا المنصب حتى أحيل على المعاش سنة ١٩٢١ م فقضى بقية أيامه في الاقراء والافتاء حتى قبضه الله إلى رحمته

اختراع الخراع للصفدي

وقع الأستاذ الطنطاوي على نسخة من هذا الكتاب الغريب عند بعض أصدقائه الأدباء ، وقد وصفها في العدد الماضي وفي هذا العدد ، وقال إنها ناقصة من أولها وآخرها ، وقد أخبرنا صديقنا الأستاذ محمود حسن زناتي أمين الخزانة الزكية أن من هذا الكتاب نسخة مخطوطة كاملة في مكتبة المرحوم عبدالله باشا فكري ، وهي الآن في حوزة حفيده الأستاذ محمد أمين فكري بك بوزارة المالية ؛ فعسى أن يتيح الله لهذا الكتاب الطريف من ينشره

قبر الصفدي

إلى الأخ الأديب الأستاذ علي الطنطاوي

ذكرت يا سيدي أثراً من آثار صلاح الدين الصفدي بعدد « الرسالة » العشرين بعد المائة ودللت على فضل الرجل وعلى أثره في الأدب العربي ، فهل تدري يا سيدي أين يرقد هذا الرجل الفذ ؟ إن قبره في مدينة صفد (فلسطين) قبر متهدم ، في حارة اليهود ، في بقعة لا تزيد على خمسين متراً مربعاً . . . أتريد أن تعلم أكثر من ذلك ؟ — إن جيرانه لا يأنفون أن . . . يقذفوا قبره بزبالة بيوتهم

قبر مندرس ، في مكان ضيق قذر ، مجهولة قيمة ساكنه ، لا يزار ولا يعرفه إلا القليل ، وما كان ليعرفه كل من يعرفه الآن لولا زيارة المرحوم شيخ العروبة له قبل عشر سنوات ، والتبرع . . . ببناء جدار حوله !

منذ الحرب حتى يومنا هذا لم يزر قبر « إمام عصره » من الأدباء إلا المرحوم أحمد زكي باشا ، فهل هذا هو التقدير لأدبائنا ؟ أمة تنشد الحياة والاستقلال وإحياء الماضي العزيز ، أيليق بها أن تهمل قبور رجال العلم والأدب فيها لتصبح ... مزابل ؟ ! قارن بين وستمنستر والبانثيون و (مقبرة) صلاح الدين تعلم السر في الفرق بين من أدباؤهم السابقون في وستمنستر ، ومن قبور أدبائهم كقبر ابن أبيك !

ها قد مر على رقدة صلاح الدين الأخيرة خمسمائة وتسعون سنة كاملة ، وبعد عشر سنوات تبلغ الستمائة ، فماذا أعددنا لاحياء ذكراه الستمائة ؟ في وقت يقيم الغربيون المهرجانات الكبيرة لأحياء ذكر أدبائهم في كل عام ! عسى ألا تمر العشر السنوات الباقية لذكرى الستمائة سنة لوفاته وقبره مهمل قذر لا يزار

(صفدي)

نظريات الجنس والسلالة والخصومة السامية

اتخذت نظريات الجنس والسلالة فى العهد الأخير أهمية خاصة ؛ فهى اليوم روح النظام الذى يسود ألمانيا ، وقد أخذت تثير فى بعض الدول الأخرى جدلا لا نهاية له ؛ وقد كان اليهود ضحية هذه الفورة التى اتخذت فى ألمانيا أشكالا من العنف والهمجية تذكرنا بروح العصور الوسطى وأساليبها ؛ على أن نظرية الجنس وتفوق السلالة لم تقف عند اضطهاد اليهود ، ولو وقفت عند هذا الحد لكانت مسألة محلية بالنسبة لألمانيا ؛ ولكن هتلر ودعاته ذهبوا بعيداً فى صوغ النظرية الجنسية ، فنادوا بتفوق السلالة الجرمانية أو السلالة الشمالية (النوردية) على جميع أجناس البشر ، ووصموا الأجناس السامية كلها بالانحطاط وعدم الأهلية لانشاء الحضارة ، ونادوا بوجوب اخضاعها وتمدينها واستغلالها بواسطة الشعوب الشمالية . ومن هنا تتخذ الدعاية الهتلرية أهميتها بالنسبة للشعوب الشرقية ، وهى التى وصمت بهذه الوصمة وصدر فى حقها هذا الحكم ؛ وقد كانت ألمانيا ومازالت مهد التعصب الجنسى ، وكانت بالأخص مهد الخصومة السامية ؛ ولم يأت زعيم الدولة الألمانية فى ذلك بجديد فى كتابه «كفاحى» الذى يحدثنا فيه طويلاً عن عناصر الانحطاط والخطر فى اليهودية ، فان الثقافة التى تلقاها لا تسمح له بمناقشة هذه الشؤون العلمية والتاريخية ؛ ولكنه نقل معظم أقواله من الكاتب الألمانى كرستيان لاسن ؛ وقد كان لاسن أول من صاغ من الخصومة السامية نظرية علمية تاريخية ، وأول من تحدث عن انحطاط الأجناس السامية فى كتاب نشره فى منتصف القرن الماضى ؛ ثم تلاه المؤرخ الفرنسى أرنست رينان ؛ واتخذت نظرية الخصومة السامية من ذلك الحين شكلها الجدلى

نكتب ذلك لمناسبة كتاب ظهر أخيرا بالانكليزية عنوانه : « How odd of God » (كيف التبان من الله) بقلم الكاتب الانكليزى لويس براون ؛ وموضوع الكتاب هو الحديث عن مركز اليهود فى المجتمع والانسانية ؛ وقد يبدو لأول وهلة أن المؤلف وهو يهودى يجرى على نغمة الدفاع عن جنسه ؛ ولكن الواقع أنه لا يبدى فى ذلك حماسة خاصة ؛ وإنما لب الكتاب وموضوعه الأول هو تحليل النظريات الجنسية التى ترتبت عليها الخصومة السامية ؛ وشرح الأسباب التى أدت إلى تفاقمها وإلى الصراع بين اليهودية وخصومها ، ويرى الكاتب أن الحركة اليهودية لم تتخذ هذه الأهمية من تلقاء نفسها ، ولكنها نمت واشتد ساعدها بسبب الاضطهاد والمطاردة ؛ ويدلل الكاتب على نظريته بسير الحركات العالمية الكبرى ، فالنصرانية ما كانت لتنمو وتنتشر هذا الانتشار لو لم تطارد فى بدء ظهورها بعنف وقوة ، وكذلك اليهودية ؛ فمنذ غابر العصور كان اليهود موضع الاضطهاد والبغض والزراية ، وكانوا يجلدون ويعذبون وتحرق منازلهم وتصادر أموالهم ، ولكن اليهودية هى اليوم أقوى ما تكون حياة وحيوية ؛ بل هى اليوم فى ازدهار وتقدم ، وقد تتساءل أيكون ذلك رغم الاضطهاد والمطاردة ؛ ويقول الكاتب كلا بل بسبب الاضطهاد والمطاردة . ثم يقول إن اليهود لم يكونوا قط جنساً أو شعباً متحدا ، ومن الخطأ أن نعتقد أن العصبية الدينية هى التى تربطهم وتقوى تضامنهم ؛ ذلك أن اليهودية دين سهل ، يقبل مختلف التطورات والتفسيرات ؛ ولكن اليهود يجتمعون فى مسألة واحدة مازالت قائمة خلال القرون ، تلك هى أنهم دائماً موضع البغض والزراية من بنى الانسان ؛ وقد أرغموا خلال العصور على أن يناضلوا من أجل حياتهم ، فبث فيهم النضال قوة ؛ واليهودى يشعر أنه ليس كباقى الناس ، ولكنه يحمل دائماً على أن يشعر بأنه يوجد شىء ضده ؛ ومن ثم تعلم الحذر والتحوط إلى درجة يدهش لها الجمهور الرفيع

ويكتب لويس براون بوضوح وسلاسة ويستعرض ما فى بنى جنسه من عيوب وفضائل بروح الاعتدال والانصاف ، ويحلل نظريات الجنس والسلالة بقوة وذكاء ، ويفند ما فيها من تحامل وسفسطة ، ويتساءل عن المعيار الذى يتخذه دعاة النظرية لتفاضل الجنس والسلالة : أهى المظاهر الخلقية المادية كالجمجمة والفك والشفتين واللون وغيرها ، وهذه جميعاً يختلف معيار التفاضل فيها عند مختلف الأجناس والشعوب ، وربما فضل الزنجى الرجل الأشقر فى بعض تقاطيعه أو خواصه ، وربما فضل المغولى الأصفر القصير باقى الأجناس بدقة شفاهه وحمرتها ، وهكذا . ولا يحاول لويس براون بأى حال أن يزعم أن لليهود تفوقاً خاصاً ، ولكنه

يقول فقط إن الجمهور الرفيع لم يترك باباً من أبواب الاضطهاد والمطاردة لسحق اليهود إلا ولجه ، وحيثما ترك اليهودى لنفسه ولم يزعج نراه نسياً منسياً ، ولكن حيث يواجهه الصراع والمطاردة نراه قوياً يغالب الحوادث

وقد أثار كتاب لويس براون فى الدوائر السياسية والاجتماعية كثيراً من الاهتمام والجدل ؛ وربما كان كتابه أول كتاب من نوعه ، يذكرنا بمؤلفات سلفه ومواطنه الكاتب والفيلسوف اليهودى الأكبر « مكس نردو » الذى لفت أنظار العالم منذ ثلث قرن بقوة جدله فى نقض أصول المدنية الحاضرة وأكاذيبها الاجتماعية والجنسية والسياسية

تمثال لحنہ بافلوفا

من أنباء لندن أنه سيقام فى إحدى حدائقها تمثال بديع للراقصة الروسية الشهيرة حنه بافلوفا ، وقد أوصت بصنع هذا التمثال لجنة من محبي الفنون فى لندن حيث عاشت الراقصة الشهيرة حيناً من الدهر ؛ وعهد بصنعه إلى المثال السويدى الكبير كارل ميلس ، وستبلغ نفقاته ثلاثين ألف جنيه ؛ وتقرر أن يقام فى بستان ريجنت فى حديقة الورد ، وهى تقع إلى جانب بركة البجع ، وهو الطير الذى أوحت حركاته إلى بافلوفا بأشهر وأروع رقصاتها المساة « رقصة البجع » . وتتولى اللجنة جمع المال المطلوب من إيراد « فلم » يمثل حياة بافلوفا فى طائفة من أبدع رقصاتها ومنها « رقصة البجعة المحتضرة » ؛ وقد أخذت هذه المناظر قبل وفاة بافلوفا بقليل واشترك فيها مع الفنانة الشهيرة بعض كبار الراقصين الذين عملوا معها

وتمثل حياة بافلوفا وحدها طوراً من أعظم أطوار الفن الراقص ؛ وقد ولدت هذه الراقصة المبدعة فى بتروجراد فى سنة ١٨٨٥ ، وتعلمت الرقص فى بعض مسارحها ، ولم تبلغ العاشرة من عمرها حتى ذاعت شهرتها وتقدمت فى سبيل المجد والرياسة الفنية بسرعة مدهشة ؛ وكانت فنانة رائعة الابتكار ، وعلى يدها دخلت أوضاع « الباليه » الراقصة فى طور جديد وبلغت ذروتها من الافتتان والروعة . وكان الفن لديها وحياً وسمواً . وقد طافت عواصم العالم الكبرى مثل لندن وبرلين وباريس ونيويورك ولقيت فيها جميعاً فوزاً باهراً . وقدمت إلى مصر سنة ١٩٢٩ ففتنت المجتمع المصرى برائع فنها ولا سيما برقصة « البجعة المحتضرة » وتوفيت سنة ١٩٣١ فى مدينة لاهاى وطويت بوفاتها صفحة من أروع صفحات الفن الحديث

أرضهم السعداء

يوجد بين جزائر المحيط الهادى التابعة لانكلترا جزيرة صغيرة يصح أن تسمى بالجزيرة السعيدة . وتسمى هذه الجزيرة « جزيرة تونجا » وهى إحدى مجموعة جزائر « الأحباب » التى وقف بها الرحالة الشهير « كابتن كوك » أثناء طوافه فى أواخر القرن الثامن عشر بهذه المياه الخطرة . وأمير هذه الجزيرة زنجى يسمى البرنس « توفا آهو » وهو شاب فى الثامنة عشرة ولكنه طويل القامة جداً ، وهو يدرس الحقوق فى ملبورن ووجه الرضى والسعادة فى « تونجا » هو أنه ليس بها فقير ولا معوز ولا تدفع فيها ضرائب . وكل فرد من سكانها يبلغ السادسة عشرة يعطى أرضاً مساحتها نحو ثمانية فدادين ومسكناً قروياً ، أو بعبارة أخرى تهيأ له كل أسباب العيش والرخاء

وقد استبدلت ضريبة الدخل بجعل سنوى قدره جنيهان يدفعه كل ذكر بالغ ؛ ولكنه ليس بضريبة فى الواقع لأنه يخول له مقابله أن يعالج مجاناً هو وأفراد عائلته فى مستشفى الحكومة ؛ ومعظم إيراد الحكومة يجبى من الجمارك وضريبة السيارات . ويكفل التعليم الحر بوجود المدارس الابتدائية وهى كلها مجانية ؛ وهناك كليتان صغيرتان . ومن مفاخر هذه الجزيرة النائية التى لا يجاوز سكانها ثلاثين ألف نفس أن ليس بها أمى واحد



الـكتب

رسالة الحج

تأليف الأستاذ ح . ع . (دبلوماسي)

للأستاذ عبد الحميد العبادي

الأستاذ ح . ع . من خيرة رجالنا العاملين في السلك الدبلوماسي ، مثل مصر ولا يزال يمثلها في ممالك الشرق العربي ، فأفاد بذلك خبرة نادرة بأحوال البلاد العربية في الوقت الحاضر ، وأنشأ لنفسه بخلقه وإخلاصه ونشاطه مكانة عالية عند ملوك العرب ، وساستهم ، وأدبائهم ، وعلمائهم . وإني لسعيد بأن أقول إني اطلعت على ذلك بنفسي في بعض تجوالي في ربوع الشرقين الأدنى والأوسط

وقد واتى الحظ الأستاذ ح . ع . وساعفته ظروف عمله الدبلوماسي فأدى فريضة الحج ثلاث مرات استطاع أن يدرس في أثنائها على هدى التاريخ وفي ضوء الواقع حال ذلك النظام الاسلامي الجليل المعدود خامس أركان الاسلام . ثم صاغ خلاصة دراسته في رسالة لطيفة الحجم عظيمة الفائدة ، يعرف فيها من يطالعها بلاغة الأديب ، وفكرة الفيلسوف ، ونزعة المصلح المؤمن برسالة الاسلام وبإمكان إنهاض المسلمين من عثارهم بالرجوع بهم إلى كثير من نظمهم وسننهم الأولى . فجاءت الرسالة من أحسن ما كتب عن « الحج » ، ومن خير ما أخرجته المطابع المصرية في هذا العام

* * *

ينعى الأستاذ على المسلمين في صدر رسالته إهمالهم أمر الحج حتى كاد هذا النظام العتيق يفقد على مر الزمن من الناحية العملية الحكمةَ التي قصد اليها الشارع من تشريعه . فهو يقول : « أما بعدُ فقد أديت فريضة الحج ثلاث مرات ، وشاهدت الحجيج من جميع الأجناس ، وخالطت منهم طوائف كثيرة ، وحادثت كبارهم وذوي العقول منهم ، ودرست بفكري وعيني وقلبي ، فكنت أرى وأفكر وأبحث ، وكنت أستلهم كل شيء حكمته ، وكل مكان وحيه ، وكل عمل سره ، فظهر لي أخيراً أن الحج لا يزال مجهولاً في حقيقته ، وأن الذين يحجون إنما يؤدون عملاً فردياً محضاً ، ولا يعرفون إلا ظاهراً من الأمر . . . »

* * *

والرسالة تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، أولها في أن الاسلام دين انساني عام ، وأنه دين المساواة التي تظهر في شكلها المادي المحسوس في الحج ، وأن الكعبة من العالم الاسلامي بمنزلة القلب من الجسم ، فالتوجه اليها في الصلاة والحج ذو حكمة بالغة . والقسم الثاني يتناول الكلام على « مقاصد الحج » ، وفيه يرى الأستاذ أن الحج كفيل بتحقيق مبدأ الرجوع إلى طهارة الطبيعة الذي دعا اليه الفلاسفة أمثال روسو ولكنهم عجزوا عن تحقيقه ، وأن الحج يستوفي مزايا نظام الكشافة ويربي عليها ، وأن الحج رمز للجهاد الاسلامي في أسمى وأشرف معانيه ، وأن موسم الحج جدير بأن يصبح مؤتمراً عاماً لنشر الثقافة بين المسلمين لو حرصت كل أمة اسلامية على أن تُحجّ كلَّ عام نفراً من صفوة رجالها يبادلون نظراءهم من حجاج الأمم الأخرى الرأي والمشورة ؛ والأستاذ يرى أن هذه المقاصد كلها مما يندرج تحت مدلول قوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم »

على أن الجديد الممتع من هذه الرسالة هو قسمها الثالث ، هو تلك الفصول التي عقدها الأستاذ لمناسك الحج وأسرارها التي خفيت على كثير من بحاث المسلمين حتى ذهب بعضهم إلى أنها أمور تعبدية توقيفية لا مجال لتفكير العقل البشري فيها ؛ فالأستاذ يتناولها منسكاً منسكاً : من الأحرام ، إلى الطواف حول الكعبة ، إلى السعي بين الصفا والمروة ، إلى الوقوف بعرفات ، إلى رمي الجمار عند العقبة ، إلى تقديم الهدْي ، إلى استلام الحجر الأسود والاهلال بالتلبية ، فاذا هذه المناسك قد أفصحت عن سرها ، وأبانت عن مكنون حكمتها . والحق أن هذا البحث ليكشف عن ناحية روحانية جميلة من نفس الباحث القدير

* * *

ثم يختم الأستاذ رسالته بمقترحات عملية يتقدم بها إلى الحكومات الاسلامية عامة والحكومة المصرية خاصة ، راجياً الأخذ بها حتى ينتفع المسلمون بنظام الحج

وإن الذي يفرغ من قراءة هذه الرسالة ليتمنى أمرين : أن تجد دعوة الأستاذ ح . ع . من أولي الرأي في العالم الأسلامي آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية ، وألا يحرم الأستاذ الشباب المتعلم المثقف من نفثات يراعه ، فهو يراع يصدر عن فكر ناضج وعاطفة نبيلة ؟

عبد الحميد العبادي